الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

تقنيات حجاجية في المناظرة

-السيف والقلم لابن الوردي أنموذجا-

مذكرة متممة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي.

تخصص: لسانيات الخطاب.

إعداد الطالبة:

- آسية مزاري.

إشراف الأستاذ:

- د/ ركي العربي

السّنة الجامعيّة: 2021 -2022 / 1443-1444هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الشكر كلّ الشكر لله الواحد الأحد الذي وفّقني لإتمام هذا العمل.

ثم الشكر لكلّ أساتذتي في قسم اللغة والأدب العربي.

كلّ الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف، وأساتذتي الموكلة لهم مهمة مراجعة و تصحيح هذا العمل كلّ باسمه.

ثم الشكر الجزيل للزوج الفاضل الذي ساهم في إتمام المراحل الأخيرة لهذا العمل.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين.

إلى كل أفراد عائلتي الأولى

إلى كل أفراد عائلة زوجي

إلى الزوج الكريم الدكتور: لمداني رشيد

إلى صغيري وبرعمي الوحيد

قرة عيني ومهجة قلبي

"معاذ" حفظه الله ورعاه

ووفّقه في مسيرته العلمية.

إلى كلّ من يعرف "آسية" و تمنّى لها التوفيق والنجاح.

آسية مزاري

مقدمة

مقدمة:

بسم الله والحمد لله، خالق الإنسان، منزل القرآن وجاعله الحجة والبيان، وسبيله إلى الخلاص والجنان، فيه الحجة وفيه البرهان، من التزم بأحكامه كان حجة له، ومن زاغ عن هديه كان الحجة عليه، وكان له الخصم والخصيم، والصلاة والسلام على أفضل الخلق وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أضحى الدرس الحجاجي في العقود المتأخرة بؤرة اهتمام الباحثين والدارسين ومن أهم النظريات التي تهتم بها الدراسات اللغوية والحديثة، حيث أُسيل حوله حبر كثير، ودليل ذلك الكتب والأبحاث والمؤلفات الكثيرة فيه.

وانطلاقا من كون الحجاج تقنية تخاطبيه تعمل على التأثير في المخاطب وتوجه ذهنه الوجهة التي يقصدها المخاطب، وبما أنّه آلية إقناعية تتمّ باللّغة الطبيعية –فحيثما كانت اللغة كان الحجاج–، حق لنا أن نقول: إن حياتنا اليومية ولغتنا وتواصلنا كلها حجاج، أدركنا ذلك أم لم ندركه، قصدناه أم لم نقصده.

وبالعودة إلى الفنون الأدبية التي تؤدي غرض التواصل ويكون طابعها حواري قائم على عنصر المفاعلة بين أركانه نجد على سبيل المثال لا الحصر: المناظرة .

فهي جنس أدبي يعتبر حقلا خصبا لتبادل الأفكار والقضايا بين طرفين على الأقل وغالبا ما يتم ذلك بحضور جمهور من المتفرجين حيث تعتبر أحد أقوى وأفضل سبل الإقناع بالمحاورة .

حيث يقوم كل من الطرفين بالدفاع عن وجهة نظر معينة، بينما يسعى خصمه إلى نفيها، حيث يلجأ كل منهم إلى تأييد أقواله وتقوية فكرته بالحجج المختلفة التي تخدم وجهة نظره .

وفي الختام تتكون لدى المتلقي فكرة أو قناعة يحكم أو يميل بها لطرف على آخر، وما ذلك إلا لقوة حججه أو لحسن أدائه في المناظرة، ذلك أنّها فنّ يهدف فيه الكاتب إلى إظهار مقدرته وبراعته في إطلاق العنان لفكره وقلمه.

وفي كل هذا السجال والأخذ والرّد نجد أنفسنا نحوم حول دائرة الحجاج، لا بل نرتكز في مركزها .

ومن هنا نلاحظ أن المناظرة تعتبر حقلا خصبا وثريا تمثل الحجاج من خلال مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الرأي بالرأي.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع للبحث والعمل، فيعود إلى طبيعة الدرس الحجاجي الذي أصبح ضرورة ومطلبا ملّحا في شتّى مناحي الحياة، ولذلك كانت الرغبة في الاطلاع عليه و محاولة الإلمام ولو بجزء يسير منه.

وقد حاولنا الإجابة عن الإشكالية التالية: ما الحجاج؟ وما المناظرة؟ و ما العلاقة بينهما؟ وما هي أبرز التقنيات الحجاجية المتجلية في المناظرة ؟

ولهذا جاءت دراستنا موسومة ب (**تقنيات حجاجية في المناظرة: مناظرة السّيف والقلم لابن الوردي)**، في محاولة منّا لملامسة الطرح الحجاجي لقضاياها.

و من هذا المنطلق فقط اعتمد السّير في هذا البحث على خطّة قوامها مقدّمة وفصل نظري وآخر تطبيقي، ليذيّل في الأخير بخاتمة.

فالفصل الأول تطرّقنا في مبحث منه إلى موضوع الحجاج عموما بمفاهيمه وعدد من المصطلحات المرتبطة به مع رصد لمساره التاريخي عند الغرب والعرب القدماء والمحدثين، وفي المبحث الآخر عرضنا إلى موضوع المناظرة من تعريف ونشأة، إلى جملة من الشروط والأركان والأخلاقيات، ختاما ببعض المصطلحات المتعالقة معها.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّص للجانب التّطبيقي المتعلق بدراسة تمظهرات وتجليات الحجاج في المناظرة وذلك من خلال عدد من التقنيات الحجاجية المتمظهرة

في المدونة، وفي مبحثه الأول أشرنا إلى المدونة التي بين أيدينا بتعريف موجز لمؤلفها وإعطاء لمحة حولها .

أما في المبحث الثاني فعرضنا إلى جملة من التقنيات الحجاجية في هذه المناظرة، ونشير إلى أننا خصصنا بالذكر التقنيات البلاغية، إضافة إلى جملة أخرى متنوعة مبثوثة في المناظرة، وكلّ ذلك تمثيلا لا حصراً.

ليختم البحث بخاتمة لأهم النتائج والخلاصة المتوصل إليها.

أما عن المنهج المتّبع فقد اقتضت طبيعة الدّراسة أن يكون وصفيا يعتمد على التحليل.

أمّا عن الدراسات السابقة فقد كان موضوع الحجاج وآلياته، من أهم المواضيع التي اشتُغل عليها مؤخراً، و نخص بالذكر مذكرة تخرج بعنوان (**الحجاج وآلياته في المناظرات الأدبية بالأندلس، السيف والقلم لابن نباتة المصري أنموذجا** للطالبتين أمينة شكشاك و سارة بن حميميد من جامعة محمد الصديق بن يحي بجيجل، 2019/2018).

و قد اعتمد البحث على جملة من المصادر والمراجع أهمّها: المعاجم المستعملة في التعريفات كـ(لسان العرب لابن منظور، أساس البلاغة للزمخشري، التعريفات للجرجاني)، أيضا لدينا (أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكوثر العقلي) بينما من الكتب التراثية نجد (البيان و التبيين للجاحظ، البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب، وديوان ابن الوردي). إضافة إلى كتب أخرى.

و بخصوص الصعوبات التي تلقيناها في مشوارنا البحثي، فقد تمثّلت بالأساس في تشعّب موضوع الحجاج وجدّته علينا، ما أدى إلى صعوبة الإحاطة به وبكلّ تقنياته.

و ختاما لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بكلمة شكر إلى الأستاذ المشرف لقبوله الإشراف على هذا العمل.

والحمد لله أولا وأخيرا، والله من وراء القصد.

المدية في: 23 جوان 2022 الموافق لـ: 24 ذو القعدة 1443 هـ

الفصل الأول:

الحجاج والمناظرة: دراسة نظرية.

المبحث الأول: الحجاج: دراسة نظرية.

المطلب الأول: الحجاج: المفهوم والمصطلح.

أ . لغة:

الحجاج مصدر على وزن فِعال، وهو مأخوذ من الجذر اللغوي (ح.ج.ج) الذي تدور فيه مجموعة من المعاني، كالخلاف في وجهات النظر أو محاولة إثبات رأي أو دحضه، ويتأتّى ذلك باللّجوء إلى مجموعة من الآراء والأدلة بغية الوصول إلى الإقناع كغاية قصوى يَنْشُدها المتكلم.

وقد ورد هذا المصطلح مبثوثا في آيات متعددة من القرآن الكريم، نذكر بعضا منها مع نوع من التحليل حسب ما أورده صاحب صفوة التفاسير" محمد علي الصابوني" كعيّنة، وهي كالتالي:

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٧٦﴾**﴾ **[البقرة: 76]**

-" **لِيُحَاجُّوكُمْ**" (**أي لتكون الحجة للمؤمنين عليكم في الآخرة في ترك إتباع الرسول مع العلم بصدقه**)[1]. فورد اللفظ بمعنى **الحجة.**

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴿١٣٩﴾**﴾ **[البقرة: 139].**

-" **أَتُحَاجُّونَنَا**" **(أي أتجادلوننا في شأن الله زاعمين أنكم أبناء الله وأحباؤه، وأنّ الأنبياء منكم دون غيركم)**[2]. فوردت بمعنى **الجدل**، والاستفهام فيها وارد على جهة التوبيخ والتقريع.

1- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرءان الكريم، ط: 04/ 1402هـ - 1981م، بيروت، لبنان، ج:01، ص: 71.

2-نفسه، ج:01، ص: 99.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٢٥٨﴾﴾ **[البقرة: 258]**

-" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ "(تعجيب للسامع من أمر هذا الكافر المجادل في قدرة الله، أي ألم ينته علمك إلى ذلك المارد وهو النمرود بن كنعان، الذي جادل إبراهيم في وجود الله)[1] ووردت بمعنى **الجدل**.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴿٢٠﴾﴾ **[آل عمران: 20]**

-" فَإِنْ حَاجُّوكَ"(أي إن جادلوك يا محمّد في شأن الدين فقل لهم: أنا عبد لله قد استسلمت بكليتي لله، و أخلصت عبادتي له وحده، لاشريك له و لا ندّ و لا صاحبة و لا ولد)[2]، وردت بمعنى **الجدل**.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴿٦١﴾﴾ **[آل عمران: 61]**

" فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ"(أي من جادلك في أمر عيسى بعدما وُضِّح لك الحق واستبان)[3]، وردت بمعنى **الجدل**.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٥﴾﴾ **[آل عمران: 65]**

(1)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج:03، ص: 165.

(2)-نفسه، ج:03، ص: 191-192.

(3)-نفسه، ج:03، ص: 206.

-" لِمَ تُحَاجُّونَ"(أي يا معشر اليهود و النصارى لم تجادلون و تنازعون في إبراهيم وتزعمون أنّه على دينكم)[1] ، وردت بمعنى **الجدل و النزاع.**

قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: 66]

-" حَاجَجْتُمْ، تُحَاجُّونَ"(أي هاأنتم يا معشر اليهود والنصارى جادلتم وخاصمتم في شأن عيسى وقد عشتم زمانه، فزعمتم ما زعمتموه، فلم تخاصمون و تجادلون في شأن إبراهيم ودينه، وتنسبونه إلى اليهودية أو النصرانية بدون علم؟)[2]، وردت بمعنى **الجدل و الخصام.**

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٧٣﴾﴾ **[آل عمران: 73]**

-" يُحَاجُّوكُمْ"(أي ...فإذا أقررتم بنبوة محمد ولم تدخلوا في دينه تكون له الحجة عليكم يوم القيامة)[3] ، وردت بمعنى **الحجة.**

قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: 80].

-"حَاجَّهُ قَوْمُهُ "(أي جادلوه وناظروه في شأن التوحيد .... قَالَ أَتُحَاجُّونِّي أي أتجادلونني في وجود الله ووحدانيته.)[4] وردت بمعنى **الجدل والمناظرة.**

ولعلّ هذه المفاهيم (الجدال، النزاع، الخصام، الحجة، المناظرة)، المتواشجة مع مصطلح الحجاج هي ما تدور في فلكه مختلف التعريفات في المعاجم اللغوية، فنجد في لسان العرب،(**يقال حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجّة حتى حججته، أي غلبته بالحجج**

(1)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج:03، ص: 208.

(2)- نفسه، ج:03، ص: 208.

(3)-نفسه، ج:03، ص: 210.

(4)-نفسه، ج:08، ص: 402.

التي أدليت بها ...، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ورجل محجاج أي جدِل، والتحاجّ التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة).[1]

وهذا يعني أن كل نزاع أو خلاف لا بد أن ترد فيه الحجج، ولكن ينبغي النظر في بعض المواقف التي يحتدم فيها الخلاف ولا يسمى ذلك حجاجا بل يسمى جدالا.

كقصة خولة بنت ثعلبة مع زوجها أوس بن الصامت، فقد جاء في سورة المجادلة: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: 1]، فسمى الله حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع خولة بنت ثعلبة حوارا، وسمى ما كانت تقيمه من شكوى و حجة ضدّ زوجها جدلا، فالمشتكي عادة يحاول أن ينتصر على خصمه أو من يشتكي منه فيقيم الحجج الدامغة التي بها يجعل الحق في كفته، ومن جهة أخرى يحاول إبطال حجج خصمه وإن لم يكن حاضرا، وإنّ الأصل في المناظرة أن يكون الطرف الثاني أو الخصم حاضرا.

ومن خلال نظرة متأملة لهذا التعريف نجده يصبّ في خانة واحدة على العموم ألا وهي الخصومة، الغلبة، النزاع والجدال، والتي تكون باللّغة من أجل الوصول إلى الإقناع. بينما ورد هذا الجذر عند الزمخشري بقوله (**حجج، احتج على خصمه بحجّة شهباء وبحجج شهْب، وحاجَّ خصمه فحجَّه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجَّة وملاجَّة، وسلك المحجَّة**).[2]

فهذه المادة تجعل معنى الحجاج أو المحاجّة قائمة على العناصر التالية:

- طرفان بينهما خلاف على قضية.
- كل واحد يسعى لغلبة الآخر.

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، مادة حجج دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ص 779.

2. أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط01،(1419هـ-1998م)، بيروت-لبنان،ج01. ص169.

– كل منهما يعتمد على الأدلة التي ينتصر بها على خصمه أو يدفعه بها.

وجاء في معجم مقاييس اللغة: **(يقال حاججت فلانا فحججته، أي غلبته بالحجة وذلك الظّفر يكون عند الخصومة)**[1] ، والغلبة هاهنا الانتصار بالرأي.

وقيل الحجة **(ما دُلَّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدّليل واحد).**[2]

ذلك أنّ كل طرف في الدعوى(القضية التنازع عليها)، يسعى إلى التّغلب على خصمه بتقديم كل ما يخدمه من حجج تدل على صدق دعواه، ولا شكّ أنّه يتخير لذلك من الحجج والأدلة أقواها،و قد يتدرج في تلك الحجج إذا كان الطرف الآخر لا يقتنع بسهولة، ويحاول هو الآخر الدفاع عن رأيه وقضيته، تماما مثلما حدث في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود. في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258]

فالخصم(النمرود) هنا كان عنيدا لدرجة أنّه كان يقابل كلّ حجة بمثيلتها، إلى أن جاءته الحجة(الأقوى) التي أفحمته وعقدت لسانه. وهنا جاء لفظ (حاجّ) بمعنى الجدال وطلب الدليل، فحتى يتمكن أي طرف في أي قضية أو دعوى ما من إثبات صحة ما يدعيه لابد له من امتلاك قوة حجاجية يتصرف بها لإنقاذ الموقف والخروج من الأزمات تدليلا وإقناعا للشريك الآخر في تلك القضية .



أما أبو هلال العسكري فقد فرّق في كتابه الفروق اللغوية بين مفهومي الاحتجاج والاستدلال، وبين الحجة والبرهان، وهي مصطلحات تتقارب وتتباعد حسب وجهات النظر

1 . ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2، 1399هـ /1979م، ص30.

2 . علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، دار الفضيلة، باب الحاء (الحاء مع الجيم)، ص 73.

إليها ،**(فالحجة هي الاستقامة من النظر والمضي فيه، على سنن مستقيم، وهذا فعل المستدل وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تنفصل الحجة من البرهان لأن الحجة مشتقة من معنى الاستقامة من القصد والفرق بين الاحتجاج والاستدلال أن الاستدلال طلب الشيء من جهة غيره).**[1]

على أنه يجب التنبه إلى الخلط المفهومي المصطلحي بين الحجاج ومختلف المصطلحات التي تدور فلكه كالجدل، التنازع، التخاصم، البرهان، الاستدلال .. فهذه المصطلحات قد تلتقي مع مصطلح الحجاج و لكنها إذا دققنا فيها النظر نجد العلاقة بينها و بين الحجاج علاقة عموم أو خصوص، وتعدد المصطلح ظاهرة قديمة حديثة، وهي ظاهرة تدل على سعة العربية وشجاعتها، وذلك باعتبارهم **(الحجاج مرادفا للجدل، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدام أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما مترادفين من شأنه أن يضيّق مجال الحجاج يغرقه في الجدل، فالحجاج أوسع من الجدل، وكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا)**[2] .

فمسألة التساهل في استعمال المصطلحات المتباينة والتي يظهر عليها الترادف سمة بارزة في اللغة العربية، لأنها لغة اشتقاقية، غير أنّ هذا لا يعني دائما التجوّز في المسائل العلمية والتي يؤدي فيها هذا الخلط بين المصطلحات إلى تضييق مجال على آخر، وهو الحال مع الحجاج ومصطلحات أخرى تدور في نفس دائرته ومجاله لكنها تفترق معه في قضايا ومواضيع خاصة به دون غيره.

فالمصطلح قد تتجاذبه عدة علوم أو حقول معرفية، وكل يستعمله في حدود معينة، و قد يتداخل هذا الاستعمال لقصد معين، ولا ضير في ذلك، إذا كان من باب الإعارة، فقد استعمل القرءان مصطلح الحوار في مواقف كثيرة منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: 34]،

1. أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1400هـ / 1980م، ص51.

2. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط2، 2007، ص15-17.

فهذا حوار له آدابه و شروطه و مقامه، و قال في قصة خولة بنت ثعلبة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١﴾

و الحجة:Evidence.proof : **(ما يقدم دليلا على صحة رأي أو قضية ما أو لنقضها)**.[1] فالحجاج يعتبر كإثبات أو شاهد يقدّم للتبرير أو التدليل للدفاع عن قضية ما.

ب . اصطلاحا:

يعتبر الحجاج استدلالا في الخطاب الطبيعي، والذي يتميز بالمرونة واللا حتمية عكس البرهان الذي يعد استدلالا في الخطاب المنطقي الصوري المتميز عموما بالصرامة والحتمية، كما أن الحجاج من أهم التجليات التداولية في الخطاب البلاغي، حيث يعتبر **(مفهوم من المفاهيم الإجرائية التي تقوم عليها التداولية)**.[2]

أي إنّها تكون مؤطرة و ممنهجة وفق مجموعة من الخطوات و المراحل المعيّنة، متّبعة في ذلك آليات إجرائية و قوانين تضبطها و تهيكلها، ذلك أنّ التداولية حقل يُعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، و يهتم بالأساس بطرفي العملية التواصلية (المتكلم والمتلقي)، إضافة إلى الخطاب كبنية لغوية تحكمها ظروف وسياقات ومقام،**(فمنذ نهاية عقد الخمسينات من القرن العشرين شهدت مباحث الدراسات البلاغية صحوة نوعية، فكانت الدعوة لما سمي بالبلاغة الجديدة وهي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، فأصبحت تسعى لأن تكون علما واسعا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص)**.[3]

لأن الدّراسات البلاغية قبل هذه الفترة الزمنية كان يغلب عليها الاهتمام بالجانب الفني، واستبعد الجانب الاقناعي(الحجاجي) و لم يعد مثار اهتمام الدارسين و لا المستعملين.

1. نواف نصار: معجم المصطلحات اللغوية، عربي انجليزي، دار المعتز، ط1، عمان،2011 /1432، ص 100.

2. باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011، ص 161.

3. مصطفى حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013، ص268.

و**(تطلق لفظة حجاج ومحاججة عند برلمان وتيتيكا على العلم وموضوعه ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات وأن تزيد من درجة التسليم محاولة إذعان العقل لما يطرح عليه من أفكار)**[1] .

ذلك أن الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا يرتكز على دراسة التقنيات أو الآليات الحجاجية التي يتم بها الاقتناع، لكن من منظور بلاغي بحت، سواء كان ذلك من خلال قبول رأي أو تغييره أو تعديله أو إضافة فكرة ...، ومن هنا بدأ التحول في النظر إلى البلاغة من الزاوية الفنية إلى الزاوية الاقناعية الحجاجية، وهي دراسة حوّلت مسار الدرس البلاغي من البلاغة القديمة إلى البلاغة الجديدة.

كما يعتبر الحجاج من وجهة نظر ديكرو **(نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللّغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية)**.[2]

إذ غيّر ديكرو وجهة النظر للحجاج من البلاغية إلى اللغوية، فأصبح الاهتمام منصبا على اللّغة و ما تحمله من طاقات حجاجية كامنة في بنيتها، يمتلكها المتكلم حتى يستطيع توجيه و تمرير خطابه للمتلقي، مع تحقيق غاية منشودة من وراء هذه اللغة والتي تتمثل أساسا في التأثير عليه واستمالته بغية إقناعه بموضوع أو فكرة ما.

ولعلّ مجمل تعريفات الحجاج **(تروم البحث في تلك العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمتلقي حول قضية أو موضوع ما، حيث أن كل طرف منهما يهدف إلى الدفاع عن قضيته مدعما أقواله بحجج وأدلة للإثبات والإقناع، فالحجاج إذا هو كل منطوق به يوجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي يحملها)**.[3]

---

1. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، 1429/2009هـ ، ص 15،16.

2. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ، ط1، العمدة في الطبع، 2006م،الدار البيضاء–المغرب، ص 14.

3. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكور العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص 226.

وبالتّالي فإن الحجاج يقوم على تلك العلاقة التي تجمع بين المتكلم والمتلقي بوجود موضوع ما، والفائدة المرجوة منه هي أن تقنع الطرف الآخر أو أن تزيد في شدة ذلك الاقتناع، أو كما يبيّن بيرلمان أنّه **(جملة من الأساليب، تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع).**[1] أي أنّ الحجاج هو مجموعة من الآليات أو التقنيات التي يتوفر عليها الخطاب، والتي تكون الغاية من الاستعانة بها والاعتماد عليها بالدرجة الأولى التأثير في المتلقي، و يكون هذا التأثير بالطريقة التي يريد المتكلم الوصول إليها، فقد يكون اقتناعا أو زيادة في درجة هذا الاقتناع.

المطلب الثاني: تبلور مصطلح الحجاج "البلاغة الجديدة":

لكل كلمة –في كل اللّغات– مرادف أو نقيض، فعندما نقول البلاغة الجديدة فلا ريب أن ما يلفت انتباهنا هو لفظ الجديدة، فنتساءل: هل هناك بلاغة قديمة ؟.

(يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلمان perelman وتيتيكا tytec هي البلاغة الجديدة، كما ينصّ على ذلك عنوان كتابهما الفرعي مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة).[2] إذا فالبلاغة الجديدة هي بلاغة الحجاج، وقد ظهر هذا المصطلح مع بيرلمان وتيتيكا، والأشهر أنّ **(البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو)**[3]، إذ لم يخرج هذا المصطلح و هذا الدرس إلى الساحة العلمية من العدم، بل تعود أصوله بهذا المعنى الإقناعي التأثيري(الحجاجي) إلى الخطابة الأرسطية، والتي كانت تدرس السبل المؤدية للإقناع في مجال المحتمل لا القطعي، وبالتالي نشأت البلاغة في أصلها مرتبطة بالإقناع وآلياته، ثمّ نحت منحى انحصرت فيه وظيفتها في مجال الصنعة اللفظية و المحسّنات، واستمرت على هذا الحال مدة من الزمن،(**فسارت البلاغة بذلك نحو**

1. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب، ط2، الأردن، 2011، ص 21.
2. عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ،ص 28.
3. نفسه، ص 28.

موتها...غير أنّها استطاعت أن تنفض عنها غبار السنين، وتنبعث من جديد)[1]، و لعل انبعاثها من جديد يعود إلى تلك الأعمال التي قام بها عدد من الباحثين والمؤلفين، وفي مقدمتهم الثنائي بيرلمان و تيتيكا، فقد حرصا على إعادة الإعتبار للبعد الحجاجي للبلاغة وعدم حصرها في الجانب الجمالي فقط. ولعلّ في ذلك إحياء للبلاغة الأرسطية بمعناها الإقناعي.

واستنادا إلى التعريفات السابقة للحجاج والتي تصب إجمالا في خانة التأثير والإقناع، وبالنظر إلى رؤية أرسطو للخطابة بأنها (**الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع**)[2]، فأرسطو نظر إلى البلاغة نظرة حجاجية بحتة، وقد كان يحصرها في الإقناع، و بالتالي فإنّ **(البلاغة الجديدة تواصل بلاغة أرسطو من حيث توجهها إلى جميع أنواع السامعين، إنّها تحتضن ما يسميه القدامى فن الجدل بطريقة النقاش والحوار عبر الأسئلة والأجوبة، المهتمة خاصة بالمسائل الظنّية..)**.[3] ، فالبلاغة الجديدة أو نقول الحجاج، هو امتداد للبلاغة الأرسطية كما أشرنا سابقا، وهي تختص بالمسائل الظنية الاحتمالية، وتقوم على عنصر المحاورة والمفاعلة، خاصة بين محركا العملية الحجاجية (المخَاطِب و المُخاطَب).

فالبلاغة والحجاج بالمختصر يشتركان في هدف واحد وهو الإقناع والتأثير، فإذا قلنا بأنّ البلاغة حجاجية؛ فمعنى ذلك أنّ الصور و المحسنات البلاغية تحمل بين ثناياها بعداً ووظيفة حجاجية كامنة وراء ملمحها الجمالي الظاهري.

المطلب الثالث: بين الحجاج، الحجة، الدليل والبرهنة:

إنّ المتأمل لهذه المصطلحات يتبين له من الوهلة الأولى أنّها مترادفات تحيل إلى معنى واحد ، لكنها في الحقيقة وبغض النظر عن الخلط المصطلحي فيما بينها . تتقارب

1. عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع: دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان/الأردن، ص 28.
2. عبد الله صولة: المرجع السابق، ص 28.
3. صابرالحباشة :الحجاج و التداولية مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق سوريا، 2008، ص15.

وتتباعد حسب المجالات التي تتجاذبها ، وبمعرفة ذلك سوف نعرج إلى التعريف بها حسب ما ذكره الفيلسوف الفرنسي "لالاند" وذلك لتوضيح الرؤية ورفع اللبس، فنجد أنّ:

❖ **المحاججة / الحجاج (هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها، ويرى أن الحجاج طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها .)** [1]،

فمصطلحا المحاججة و الحجاج مصطلحان مترادفان، يحيلان إلى عملية فيها أخذ وردَ للحجج بين طرفين القضية وتبادلها، إما لتأكيدها أو نقضها .

❖ **الحجة : (هي بمثابة استدلال موجّه لتأكيد قضية معينة أودحضها أو تفنيدها، ويرى من ناحية أخرى أنّ هناك من يعتبر كل حجة دليلا)** .[2]

فهي كل قول يمكن اعتباره يخدم النتيجة المراد الوصول إليها، ويمكن للنتيجة الواحدة أن تخدمها أكثر من حجة واحدة.

❖ **الدّليل: (انه عملية توجه التفكير العقلي بصورة يقينية ومقنعة، وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها ، ويحيل الدليل من جهة أخرى إلى الواقع ، ليأخذ من ثمة مضمونا ماديا تصبح بموجبه الوقائع والأحداث والوثائق بمثابة أدلة ، ويتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة إذ أنّ كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا).**[3]

وكأنّه يرمي في مرمى البرهنة، ذلك أن نتائجه تتماشى والمقدمات التي تحيل إليها، عكس الحجاج الذي يبحث في المسائل اللاحتمية.

❖ **البرهنة: (هي استنباط يوجّه لتأكيد أو إثبات نتيجة، وذلك استنادا إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة).**[4]

1. علوي حافظ إسماعيل : الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ص2 .
2. نفسه، ص02.
3. نفسه، ص02.
4. حافظ إسماعيل العلوي: المرجع السابق، ص03.

فالبرهنة أو البرهان على عكس الحجاج هي استدلال في الخطاب الصوري الذي تكون نتائجه صارمة وحتمية، بمعنى أنّ نفس المقدمات تؤدي بالضرورة إلى نفس النتائج.

المطلب الرابع: الحجاج من المنظورين الغربي والعربي

للحجاج جذور ضاربة في التاريخ، انطلاقا من الحضارة اليونانية (السفسطائيين، أفلاطون، أرسطو) و صولاً إلى العصر الحديث المتأخّر(بيرلمان، تيتيكا، ديكرو، أونسكومبر)، مروراً بالمحطّة العربية قديماً (الجاحظ، ابن وهب الكاتب...) وحديثاً(طه عبد الرحمان، أبو بكر العزاوي...). وهذا ما سنتطرق إليه في مطلبنا هذا بشيء من التفصيل.

1/ من المنظور الغربي

أ / قديما :

01-السفسطائيون:

مدرسة فلسفية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، اهتمت بالخطابة من أجل الحصول على الأموال، **(وقد درست هذه الفئة الخطابة (البلاغة) دراسة احترافية، ومن هذا المنطلق أخذت الخطابة (البلاغة) تمتلك من حيث هي خطاب، القدرة على تعبئة النفوس وتحريك العواطف واستمالة الوجدان)** [1].فالغاية هنا تأثيرية إقناعية، الهدف منها الوصول إلى الجمهور**(ولم ينظر السفسطائيون إلى الخطابة بوجه عام على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب، بل هي ترتفع إلى مرتبة العلم والفن الحقيقيين، وتبعا لذلك فإن المعرفة الحقيقية هي تلك المتمثلة في الخطابة (البلاغة)**[2]، فقد رفع السفسطائيون من مكانة الخطابة وأنزلوها منزلة العلم والفنّ، و جعلوها هي المعرفة المطلقة.

1. حافظ إسماعيل العلوي: المرجع السابق، ص 06.

[2]- نفسه، ص07.

02-سقراط : (469ق.م . 399 ق.م)

استنكر أسلوب السفسطائيين و ثار عليهم، (**وقد حاول سقراط تأسيس منطق بديل يخلص الخطابة (البلاغة) مما بها من مغالطة ومناورة وتلاعب بعواطف الجمهور وعقله، وقبل ذاك تشذيب نظرية العلم منها بإقامتها على المعيار العقلي الخالص**).[1] فقد رأى أنّ بلاغتهم تعتبر مغالطة و تلاعبا بالجمهور(المتلقي)، فسعى جاهدا لإيجاد البديل عنها، حيث يكون البديل حسبه قائما على العقل و المنطق، و لعلّ في ذلك تضييق لمجال البلاغة و حدٌّ لامكانياتها.

ثمّ إنّ (**حجاج السفسطائيين حسب سقراط لاُ ينتج المعرفة، بل يُولّد فقط الاعتقاد وما دام الاعتقاد مهدّدا بالأخطاء والتهافتات، فإن ّهذا الحجاج يغدو قاصرا عن خدمة العدل والحقيقة، ويحاكِم سقراط الحجاج إذن من موقع العلم، فينتصر للمعرفة ويبخس الاعتقاد وبذلك يضع موضع مساءلة قيمة الخطابة وينفى أفضالها**).[2] فما دامت خطابتهم قائمة على المغالطة و التلاعب، فإنّها قاصرة ولا بد عن إدراك الحقيقة والمعرفة، ومادام الحجاج عنده بمنزلة العلم فلا بدّ أن يُبنى على الحقيقة ليخدم المعرفة.

أفلاطون (467ق.م . 347ق.م)

سار على نهج أستاذه سقراط و كان معاديا للخطابة السفسطائية، وعدّ توظيفهم للبلاغة سلبيا، فسعى من انطلاقا من ذلك إلى(**تخليص الخطابة من قبضة السفسطائيين، وبذلك يُؤكد دعوة أستاذه إلى ضرورة تخليق الخطابة واستعمالها فقط للأغراض النبيلة والأهداف السامية**).[3] فقد كان يعتقد بأن بلاغة السفسطائيين لا تنتج المعرفة بل تنتج الظنّ والشكّ فقط، لذا دعا إلى بلاغة جديدة تولّد المعرفة واليقين.

1. حافظ إسماعيل العلوي: المرجع السابق، ص 08.
2. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، (2013/1434)، ص 39.
3. حافظ إسماعيل علوي: المرجع السابق، ص 8.

أرسطو: (384ق.م . 322ق.م)

وهو تلميذ أفلاطون، ولا نكون على خطأ إذا قلنا بأنّه موجّه الخطابة(البلاغة) الوجهة الإقناعية بالمعنى الحجاجي الحديث، ذلك أنّ(**الخطابة عند أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجّه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه منه أو يصنعه له صنعا**).[1]،فهو يركّز على طرفي العملية الحجاجية(المتكلم والمتلقي)، حيث بينهما يتمّ تبادل الخطاب في سعي من أحدهما إلى إقناع الآخر لكن في مجال المحتمل والمختلف حوله.

ومن هذا المنطلق(**فقد كان أرسطو ينطلق من كون الخطابة هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع، وهذا الإقناع يتوقف عند أرسطو على ثلاثة أركان هي: أخلاق القائل وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الإيتوس، وثانيا تصيير السامع في حالة نفسية ما،وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الباتوس وثالثا القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت ، وهو ما يمكن أن ننعته بحجة اللّوغوس، أي الكلام أو العقل**)[2]

فالخطابة الأرسطية تبحث في الأساليب والآليات الإقناعية، والتي تقوم بالأساس على ثلاثية (المتكلم، المتلقي، الكلام)، وقد أبعد أرسطو المنطق و الفلسفة عن مجال البلاغة.

ب/ حديثا :

بيرلمان / تيتيكا : "مصنّف في الحجاج : البلاغة الجديدة (1958)".

يعتبر هذا المؤلف باكورة التأليف في الدرس الحجاجي الحديث، و قد كان ثمرة جهد مشترك بين كل من الباحث شاييم بيرلمان والباحثة ألبرخت تيتيكا(**ولعلّ أهم غاية يرمي**

1. حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب: نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ص12.

2. عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، 28.

إليها صاحباه هي إخراج الحجاج الذي هو عند المؤلفين، سليل الخطابة والجدل معا من هذه الدائرة، والذي ظل ولفترات طويلة في القديم مرادفا للمنطق، كما عملا على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال).[1]فقد أعادا الاعتبار للبعد الحجاجي للبلاغة، وأخرجاها من خانة الاستدلال الصارم.

و(**يأخذ بيرلمان في تعريف الحجاج بماهية الخطابة عند أرسطو وهو من هذه الناحية أرسطي ملتزم، فيعرّفه بأنه قول يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل الإقناع على مخاطب).**[2] نستطيع القول أن اللّبنات الأولى للنظرية الحجاجية عند بيرلمان كانت إتماما لبناء بدأ أسسه وأساسه بل ومنطلقه الفيلسوف أرسطو وخطابته، والذي ينطلق من المتكلم ليصل إلى المتلقي عن طريق الخطاب بهدف الإقناع.

ومن هذا المنطلق(**يبدو أن بيرلمان وتيتيكا قد عمدا إلى إحياء البلاغة القديمة، ولكن في ثوب جديد هو الحجاج).**[3]

فالحجاج عند بيرلمان وتيتيكا أو كما يسميه البعض بالحجاج البلاغي يتسم بسمة بلاغية منطقية، ويعتبر(**مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة المعجم الحقيقي المجمل لكل أشكال الحجج وتأثيرها) .**[4]

- **الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر (الحجاج في اللّغة).**

أو كما يسمى: الحجاج اللغوي، وهو نظرية لسانية وضع أسسها الفرنسي ديكرو في بداية السبعينات (1973)، وهي **(نظرية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، هذه النظرية التي تنطلق من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، أي أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية).**[5] فهذه

1. يُنظر عبد الله صولة: في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ص11-12.
2. نفسه، 44.
3. عادل عبد اللطيف: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص87.
4. عادل عبد اللطيف، المرجع السابق، ص83.
5. أبو بكرالعزاوي: اللغة والحجاج : ص 14.

النظرية لا تعتمد الجانب البلاغي كما رأينا عند بيرلمان و تيتيكا، بل تنطلق من اللّغة الطبيعية للمتكلم، والتي تحوي في ثناياها بعدا حجاجيا .

وهذا ما يقصده القائل(**أنّ اللغة تحمل في طيّاتها بعداً حجاجياً كامنا في صميم بنيتها الداخلية مجملا فيها وليس عنصرا مضافا إليها، ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي**).[1]

وهنا يظهر الجانب الذي يحيل إلى تلك العلاقة الوطيدة بين الحجاج والتداولية خاصة في شقها المتعلق بالتداولية المدمجة حيث تدمج قضايا حجاجية تداولية في قضايا دلالية. أي أنّ الحجاج صفة لصيقة باللّغة وليس دخيلا عليها.

2_الدرس الحجاجي عند العرب :

أ / قديما :

الجاحظ (150 . 255هـ /767 . 867 م)

يعتبر الجاحظ من علماء البلاغة الأفذاذ في العصر العباسي، وقد ركّز على الجوانب الحجاجية في البلاغة، مناديا بأنّ البلاغة الحقّة هي أن تتخير مواضع حججك حتى تجعل المتلقي يُذعن لما تريد أن تقوله، فقد(استقر في اعتقاد الكثير من الباحثين أنّ البلاغة العربية توزّعها تياران واسعان، تيار بلاغة الصورة والحِلية والمحسّنات، وتيّار بلاغة الخطابة، وقد قُرِن هذا التيّار الأخير غالبا بالجاحظ الذي عُدّ مؤسّسه ومُحكِم خصائصه).[2]

و(اهتمام الجاحظ ببلاغة الإقناع حَكَمَه أصلا المنطق المذهبي الذي صدر عنه، فلقد كان منخرطا بشكل قوي في نِحلة تعتبر أن اللغة والبلاغة هما سلاح المناظرين

1. عادل عبد اللطيف: مرجع سابق، ص95.
2. نفسه: ص61.

والمجادلين الذين يتوخون نصرة مذهبهم والإقناع به (..) إنّ البعد المذهبي للجاحظ وولهه بأئمة الحجة والكلام دفعاه إلى ربط البلاغة بأهداف إقناعية).[1]

(فتناول الجاحظ إستراتيجية الإقناع في كتابه البيان والتبيين ،إذ فصّل القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية وملكات ذهنية).[2]

فكلّما كان الخطيب بليغاً فصيحاً كانت حججه مقنعةً ودامغةً، أمّا إذا كان ضعيفا متمردا فحججه سوف تكون مرفوضة مردودة ولابد.

هذا وقد حاول الجاحظ إيضاح مفهومي البيان والبلاغة مستشهدا بما لدى الأمم الأخرى، حتى تمكن من أن يحدد آلة البلاغة باستشهاده ببعض ما ورد في صحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية إذ يقول:**(أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللّحظ متخيّر اللّفظ لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة).**[3] فقد أثبت الجاحظ للخطيب(و هو المتكلم) صفات لابد له من التحلي بها حتى يكون خطيبا بليغا حقاً، كرباطة الجأش أي الصبر و الشجاعة و عدم التردد، و تخير الألفاظ مع مخاطبة كلّ فئة من الناس بما يناسب مقامها. ولعلّ أهم مطلب هو أن يكون سليما من أي علة تحول دون تبليغ ما يريد.

أمّا في تعريفه للبيان فيقول: **(البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يقضي للسامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع).**[4]

1. عادل عبد اللطيف: مرجع سابق، ص61.

2. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديد ،ط1، 2004، بيروت، لبنان، ص 448.

3. ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص92.

4. نفسه، ص 76.

يريد بذلك أن البيان هو ما أبان عن المعنى وأزال إبهامه ووصل به إلى الإفهام والأذهان ،سواء كان باللغة وهي الخصيصة الأولى لذلك، وقد يستعين بغير اللّغة (الأدلّة غير اللغوية/ السيميائية).

يُظهرهذا التعريف أن بلاغة الجاحظ (**تكتسي بعدا تداوليا بحيث تعنى بقضية الإفهام، إفهام السامع وإقناعه، فالإفهام بهذا المعنى ينطوي على استحضار الآخر من جهة واعتبار الوظيفة التواصلية للقول من جهة أخرى**).[1]

فالجانب التداولي يجب أن يراعي المتلقي باعتباره عنصرا غير نصي، لأنّه المقصود بالخطاب الموجّه من قبل المتكلم، وبالتالي فعملية الإفهام والإقناع تكون محور البلاغة.

(ويبقى الإفهام إذن الوظيفة المركزية للبلاغة في منظور الجاحظ)[2].

هذا وقد كان للمقام دور هام في العملية الإقناعية حيث **(تكون مراعاة المقام شرطا لازما في كل تواصل بياني يروم المنفعة والصواب (...) ويكتسي المقام عند الجاحظ طابعا تداوليا يجعله يلف كل عملية القول ، فالمتكلم محكوم باعتبار مخاطبه ، وباعتبار التلاؤم بين الغرض وصورة قوله واعتبار السياق الذي يرِد فيه الخطاب**).[3]

إذ لابدّ للمتكلم(موجّه الخطاب) والذي يقصد الإقناع أن يراعي المخاطب متلقي الخطاب، لكن دون إهمال عنصر المقام الذي يحكم العملية التواصلية، ومن هذا المنطلق **(يتضح أن إلحاح الجاحظ على مطابقة المقال للمقام هو وسيلة للإقناع وليس مظهر تجميلي أسلوبي)**.[4]

وهذا ما ما يحيل إلى المفهوم الحجاجي الذي يعنى بالجانب الإقناعي للبلاغة وليس المظهر الجمالي الفني.

1. عادل عبد اللطيف: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص63.
2. نفسه:ص 64.
3. نفسه: ص 65.
4. نفسه:ص 67.

ابن وهب الكاتب (335هـ / 947 م) :

واحد من أعلام البلاغة الذين اهتموا بالحجاج و علاقته بالبلاغة و البيان، **(ألّف كتابا بلاغيا واعيا بضرورة معرفة الحجاج الجدلي، حيث يعتبر الجدل جنسا من أجناس البيان)** [1]، وهذا الكتاب بعنوان "البرهان في وجوه البيان" **إذ يقول:(البيان على أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها وان لم تُبِن بلغاتها ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللَب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بَعُد وغاب).**[2]

فحتى يحصل الإفهام والبيان قد يعمد المخاطب إلى أكثر من طريقة حتى يبلغ قصده ومراده ، ويمكن أن تتجاوز النظام اللساني إلى النظام السيميائي وما ذلك إلاّ لحصول الإقناع والإفهام .

يُعرِّف ابن وهب الجدل بأنه **(قول يؤلف للاحتجاج في القضايا التي يختلف فيها أهله، كما يعتبر الحجاج أحد وسائل البيان بالقول (العبارة) بمعنى أنه موظف في الخطاب للتبيين والتبليغ والإفهام والإقناع)**[3]، فالجدل عنده يكون في المسائل التي تكون محلّ خلاف، بينما يشير إلى أنّ الحجاج يكون في الجانب اللّغوي الذي يستعمل عامة لغرض الإقناع والإفهام.

ابن حزم الأندلسي (384هـ / 994م)

مفكّر وحجاجي بامتياز، عرف بالمناظرة المباشرة المرتجلة، فهو**(لا يهدأ من السجال والحجاج والجدال بالمناظرات لدرجة أنه يناظر كل شخص يقابله وهذه صفة**

1. محمد يطّاوي: أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير، مجلة جامعة أم القرى العلوم اللغات وآدابها، المملكة المغربية، العدد21، 1439هـ -2018م، ص 156.

2. أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، ص 56.

3. نفسه: ص157.

نادرة تمنح ابن حزم المقام المتميز،لأنّ المناظرة والحجاج هي الحدّ الفاصل بين الصّدق والكذب، وهي قناعة العقل واطمئنان القلب وسكون النفس).[1]

(وليس من المبالغة في شيء القول بأن ابن حزم هو أهم مفكّر في القرن الخامس الهجري)[2].

ولعل أبرز ما نلاحظ هو ذلك الجمع بين مصطلح الحجاج والجدال والمناظرة والسجال في مقام واحد ، وما ذلك إلاّ دليل على ما بينهما من علاقات وتواشجات تزيد وتنقص من مصطلح لآخر .

هذا وقد **(انشغل ابن حزم بالحجاج في موسوعته الموسومة ب"الفصل في الملل والأهواء والنحل" ، ولم يكن ممارسا له على نحو يسير أو في اقتصاد يسير، فهناك في الكتاب فصول حجاجية فعلا، ومهما يكن من قوتها أو ضعفها فهي تظل ممارسة للاحتجاج بالأدلة العقلية، وذلك الشرط الأول في المتكلم).**[3] وتلك هي إسهامات رجال البلاغة الذين وجّهوا البلاغة تلك الوجهة الحجاجية ولم يقصروها في الجانب الجمالي فقط.

ب : حديثا :

لقد ظهر هذا الاهتمام الواسع بالحجاج جلياً في عدد من الكتب والمقالات وبرز على الساحة العلمية في هذا المضمار مجموعة من الدارسين نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

طه عبد الرحمن :

أسهم بشكل كبير في إثراء الساحة العلمية بمؤلفات قيّمة تحدّث فيها عن الحجاج، **(ففي كتاب " اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي" الذي عقد فيه باباً سمّاه: "الخطاب**

1. محمد آيت حمو: ابن حزم فارس الحجاج في الغرب الإسلامي، ضمن كتاب : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط ، ط1، 1427هـ / 2006م، ص127.
2. محمد آيت حمو : المرجع السابق، ص127.
3. نفسه، ص 128-129.

والحجاج"، واستعرض فيه أنواع الحجج وأصناف الحجاج، وركّز على السلّم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج) .[1]

وقد عرّف الحجاج في هذا الكتاب بأنّه: **(كل منطوق موجه للغير إفهامه دعوى مخصوصا).**[2] فهو يركّز على عناصر مهمة وهي: الجانب المنطوق وعنصر التوجيه والمتلقي الذي لابدّ له من متكلم والقصد من هذا المنطوق والمتمثل في الإفهام.

و**(لم يقف عند هذا الحدّ بل ذهب إلى دراسة الاستعارة من وجهة نظر حجاجية مؤصِّلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني)** .[3]، وهي ما أصبح يطلق عليها لفظ الاستعارة الحجاجية، حيث تمّ التركيز على ما تحمله من طاقات و شحنات حجاجية هدفها التأثير في المتلقي من خلال توضيح المعنى و تقريبه.

كما نجد له كتابا آخر والمعنون ب **("في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" إذ يبتغي من ورائه إيجاد رابط منطقي لغوي ليطوّعه في سبك نظرية تأخذ بقوة المنطق وسلاسة اللغة).**[4]

أبو بكر العزاوي:

الحال نفسه مع هذا المؤلف الحجاجي الذي قدّم باقة من الكتب المتعلقة بالدرس الحجاجي، حيث**(أسهم في هذا المضمار بعدد من المقالات التي توزّعت بين دراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية، ومن هذه المقالات ما جاء بعنوان " نحو مقاربة حجاجية للاستعارة "، إذ طبّق فيه مفهوم السلّم الحجاجي على الاستعارة مستنتجا أ نّ الاستعارة تفضل الحقيقة من ناحية قوّتها الحجاجية).**[5] فغالبا ما يُعمد إلى الاستعارة لأنّها تكون أقوى من الحقيقة في تبليغ المقاصد الحجاجية، وبالتالي في التأثير في المتلقي وتوجيهه.

1. محمد آيت حمو : المرجع السابق، ص 451.
2. طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 1997، ص 226.
3. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص 451.
4. نفسه، ص 451.
5. نفسه: ص 452.

ومن كتبه القيّمة في هذا المقام نجد "اللّغة والحجاج " والذي يهدف فيه من خلال استقراء مقدّمته إلى دراسة ووصف بعض الجوانب الحجاجية للّغة العربية، ومعرّفا الحجاج على أنّه (**تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استناتجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تُستنتج منها**)[1].إذ مجمل تعريفات الحجاج ترمي إلى أنّه مجموعة من الأقوال تسند بعضها البعض، البعض منها حجج والآخر نتائج تخدمها تلك الحجج.

كما تطرق العزاوي للحجاج (**مُركّزاً على ما يمنحه المرسل من سلطة في السياق ، وذلك في مقالة " سلطة الكلام وقوة الكلمات " باعتبار وظيفة الحجاج هي وظيفة اللغة الأولى معتمدا على توظيف السلم الحجاجي في تحليله للخطاب**).[2]

فحيثما كانت اللغة فثمة الحجاج، ولاشك أن للمرسل دور هام في تحريك العملية الحجاجية.

1أبو بكر العزاوي: اللغة والخطاب ، ص16.

2. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 452-453.

المبحث الثاني: المناظرة: دراسة نظرية.

المطلب الأول: تعريف المناظرة.

أ . لغة:

ورد في لسان العرب:(**المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه، ويقول: التناظر: التّراوض في الأمر ونظيرك الذي يُراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة والنظير المثل، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء، ويقال ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة**)[1] فالمناظرة على هذا الأساس تقوم على طرفين على الأقل، يقيمان مناظرتهما على قضية ما فينظر كلّ منهما فيها من وجهة نظره الخاصة، فالنّظير إذا هو الطرف الآخر في هذه المحاورة.

بينما نجد عند الجرجاني (**المناظرة لغة من النظير أو من النظر بالبصيرة**)[2].

ب . اصطلاحا:

المناظرة حسب تعريف الجاحظ في عدد من المواضع هي (**حوار حجاجي يقدّم خلاله كل متناظر حججه للاستدلال على صحة موقفه من موضوع التناظر، وكثيرا ما يقيم توازناً بين المتناظرين المتحاجين، فيحدث بينهما تكافؤ في مستوى الحجج وترتيبها**).[3] فالجاحظ يُقيم تعريفه للمناظرة على الجمع بين مصطلحين هامين "الحوار والحجاج" حيث يسعى كل طرف إلى إثبات صحة دعواه، فينبري لها بالحجج المؤيّدة الداعمة.

1. ابن منظور: لسان العرب، باب (نظر) ص 4468/4467.

2. الجرجاني : التعريفات ، باب الميم (الميم مع النون)، ص195.

3. باشا العيادي: فن المناظرة في الأدب العربي : دراسة أسلوبية . تداولية ،دار دار كنوز المعرفة ، ط1، 1435هـ / 2014م ، عمان ، ص 54-55.

بينما يقول الجرجاني أنّ المناظرة اصطلاحا هي (**النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب**).[1]

فالمناظرة هي(**النظر من جانبين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصّواب فيها**)، **فالمُناظِر هو من كان عارضا أو" معترضا "وكان لعرضه أو اعتراضه أثر هادف ومشروع في اعتقادات من يحاوره سعيا وراء الإقناع والاقتناع برأي، سواء ظهر صوابه على يد هذا أو على يد مُحاوره**)[2] ، فالمناظرة تشترط على الأقل طرفين و موضوع.

ويشير طه عبد الرحمان إلى أنّ (**كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمُفاعلة الموجهة يسمى مناظرة**)[3].لأنّها تعتمد على طرفين على الأقل يتفاعلان أخذاً وردّاً.

بينما نجد تعريف المناظرة في معجم المصطلحات اللغوية على أنّها (**مناقشة أو حوار بين شخصين_ أو فريقين . يحمل كلّ منهما موقفا مناقضا للشخص أو الفريق الآخر من مسألة ما، ويحاول كل طرف دعم آرائه وتقويتها بالأدلة والبراهين، وفي الوقت ذاتها يحاول دحض الرأي المناقض وتخطئته**).[4]

من خلال الملاحظة المركزة لجملة من التعريفات نستشف أنّ المناظرة هي حوار حجاجي بكلّ ما يحمله مصطلح الحجاج من حمولات ودلالات، سمتها البارزة المفاعلة، والذي يعتمد طرفين على الأقل يمثلان موقفين مختلفين حول قضية ما.

1. الجرجاني: التعريفات، ص 195.
2. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص46-47.
3. نفسه: ص 66.
4. نواف نصار: معجم المصطلحات اللغوية، ص326.

المطلب الثاني: نشأة فنّ المناظرة:

تعتبر المناظرة جنسا من الأجناس الأدبية الضاربة في القدم، سواءً في التاريخ العربي أو غيره من الأمم، حيث يرجع بعض الدارسين فنّ المناظرة إلى أصول قديمة جدا ويستشهد بأمثلة من الأدبين السومري والبابلي .

- (الكتاب السومريين: ابتدع الكتاب السومريون الجنس الأدبي الذي نسميه أدب المناظرة ... ومن أشهرها المناظرة بين الصيف والشتاء.
- ثم الأدب البابلي: حيث لم يخل من أدب المناظرة. لأنهم نسجوا على منوال السومريين . الذي يسجل مبارزة كلامية يتبارى فيها زوج من الآلهة أو البشر أو الظواهر الطبيعية أو النبات .... ومن أشهرها المناظرة بين الثور والحصان).[1]

نعيد فنقول أنّ(**المناظرة فنّ قديم يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، فلطالما أحبّ الإنسان عرض أفكاره على غيره والدفاع عنها، فقد أرسى القرآن الكريم أركان هذا الفنّ مؤكّدا أنّ المناظرة هي أرقى سبل الإقناع والمحاورة، كما قدّم لنا نماذج رائعة في فن المناظرة: كالحوار بين الله عزّ وجل وملائكته، وبين الأنبياء وأقوامهم، وبين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه. و لم يكن عصر من العصور الإسلامي يخلو من وجود مناظرات ومحاورات ومناقشات وقد ازدهر هذا الفن وبلغ ذروته في عصر نهضة العرب والمسلمين الحضارية**).[2]

هذا(وتعود نشأة فن المناظرة كجنس أدبي نثري إلى القرن الثاني للهجرة، وعرفت المناظرة كجنس فكري مراحل تطورية مختلفة عند العرب متحولة من المجادلة الشفوية البسيطة إلى المناظرة الكلامية للتعبير عن توجه فكري في القرن الثاني للهجرة).[3]

1. ينظر باشا العيادي: فن المناظرة في الأدب العربي دراسة أسلوبية – تداولية ، ص27
2. عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، قطر، 2014، ص45.
3. مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي، دار الكتب الحديث، ط1، 2009 ، ص 64.

(وازدهرت المناظرة في العصر العباسي وأصبحت من أهم الفنون النثرية إذ احتدمت المجادلات الكلامية الواقعة بين الفلاسفة والمفكرين والعلماء والفقهاء ، وكانت هذه المناظرات تتم في إطار حلقات علمية مختلفة ، كما كانت تتخذ صيغة المناقشات والحوارات المستفيضة، فكانت هناك حلقات للفقهاء والفلاسفة والمفسرين والشعراء وغيرهم).[1]

أما في الأدب الأندلسي فممّا(ساعد على رقي فن المناظرة وازدهاره الخلفية الثقافية وأثر المجالس الأدبية الأندلسية حيث تعلّق عديد من أمراء الأندلس وحكامها بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة ، وتشجيعهم وإكبارهم للعلماء على اختلاف ميولهم ومذاهبهم، ونذكر على سبيل المثال مجالس المأمون التي اشتهرت بالمناظرات).[2] كما نلاحظ أنّ للمناظرة نوعان: مناظرات واقعية أحداثها و شخصياتها من أرض الواقع، وأخرى خيالية مستمدة من نسج الخيال ووحي القلم.

المطلب الثالث: شروط / أركان/ أخلاقيات المناظرة

أ: شروطها

حتى تستقيم المناظرة كفن أدبي يروم بيان الصواب في مسألة من المسائل المتنازع حولها فلابد لها من شروط عامة حددت كما يلي:

(أ . لابد لها من جانبين (طرفين).

ب . لابد لها من دعوى (قضية . موضوع).

ج . لابد لها من مآل يكون بعجز أحد الجانبين .

د . لكل من الجانبين آداب ووظائف) [3]

1. عبد اللطيف سلامي: مرجع سابق، ص 46.
2. نفسه، ص 46-47.
3. طه عبد الرحمان : أصول الحوار وتجديد الكلام، ص 74.

إذ لا يمكن أن تتحقق المناظرة إذا لم يكن فيها طرفان يتناظران حول قضية معينة، تؤول في النهاية إلى تفوق طرف على الآخر كل وقوة حججه وأقواله، بشرط أن يلتزم كل طرف من أطراف المناظرة بالجانب الأخلاقي والتهذيبي.

ذلك أنّ المناظرة (**ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين يشتركان في صنع المعرفة عبر مسار حجاجي**).[1]

ب: أركانها

وبالمجمل فإن المناظرة لا تنعقد إلاّ بوجود ركنين هامين تقوم عليهما:

(1/ **الموضوع:** وهو القضية التي ستجري حولها المناظرة، وتكون صورته مشخّصة في ذهن كل المتناظرين، محدودة المعالم معينة الأهداف.

2/ **المتناظران:** وهما الطرفان اللّذان سيتحاوران حول الموضوع المطروح للمناظرة، ويسمى أحدهما مدعيا أو ناقل خبر، والآخر معترضا عليه.

يسمى البادئ بالكلام (عارض الموضوع) معللا والمعترض سائلا .

أو يسمى البادئ (عارض الموضوع) مانعا والمعترض مستدلا، وذلك تبعا لموضوع المناظرة.

وقد يتغير الأمر في أثناء المناظرة، فينقلب السائل معللا والمعلل سائلا أو المانع مستدلا والمستدل مانعا).[2]

1. عادل عبد اللطيف : بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص 131.

2. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، الحوار والمناظرة في الإسلام (أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث)(مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 46 ، 1430هـ، ص 43-44.

ج: أخـلاقيـاتهـا

للمنـاظرة كمـا لبقيـة الأصـناف الأدبيـة الأخـرى آداب وأخلاقيات علـى المنـاظر ألاّ يحيد عنها حتـى يخرج عملـه فـي أبهـى حلـة وأجمل طلـه، لعلّ أهمها مـا ذكره طـه عبد الرحمان وهي :

- (أن يكون المتناظران متقاربين معرفة ومكانة حتى لا يؤدي استعظام أحدهما الآخر ، أو استحقاره له ، إلى أن يضعف عن القيام بحجته أو يتهاون فيها .
- أن يمهل النـاظر خصـه حتـى يستوفي مسألته ، كـي لا يفسد عليـه توارد أفكاره وحتـى يفهم مراده من كلامه كي لا يقوله ما لم يقل .
- أن يتجنـب المنـاظر الإسـاءة إلـى خصـمه بـالقول أو الفعل بغيـة إضـعافه عـن القيـام بحجتـه ومـن ذلك قلـة الإصـغاء إليـه، والسـخرية منـه وتخجيلـه بفضـح عيوبـه وتشنيعه بالقدح في كلامه والتطاول عليه بالتنقيص والشتم .
- أن يقصـد المنـاظر الإشـراك مـع خصـمه فـي إظهـار الحـق والاعتـراف بـه، حتـى لا يتباهى به إذا ظهر على يده ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه.
- أن يتجنب المناظر محاورة من ليس مذهبه إلاّ المضادة، لأن من كان هذا مسلكه لا ينفع معه الإقناع بالحجة).[1]

المطلب الرابع: بين المناظرة والحجاج / المناظرة والجدل /المناظرة والحوار.

أ: بين المناظرة والحجاج

من خـلال تطرقنا إلـى المفاهيم المتعلقة بمصطلحي المناظرة والحجاج، لاحظنا تلك العلاقة التـي تتواشج بين المصطلحين، حتـى أنـه قد يصـعب علـى المطـالع العادي لهذه المجـالات، ولا يتـأتى التفريـق والتمييـز بينهمـا إلا للمتأمل الدقيق، إن لـم نقل المتخصـص المتمكن، وبالتأكيد توجد بينهما فروق نجملها في ما يلي:

1. طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ،ص 74-75.

- **(المناظرة تقوم على طرفين (العارض والمعترض) يتبادلان الحجج أمام جمهور من الحضور، أما الحجاج فيكون بين طرفين (مرسل) و(مرسل إليه) وقد يكون فردا أو جمهورا.**
- **يسعى المناظر إلى إفحام خصمه والظفر عليه، بينما يسعى المحاجج إلى الإقناع .**
- **تكون المناظرة مشافهة، أمّا الحجاج فيقوم على المشافهة والكتابة).**[1]

ب : بين المناظرة والجدل :

يفرّق محمد أبو زهرة في كتابه " تاريخ الجدل" بين مصطلحي المناظرة والجدل قائلا: **(تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل (...) وأحيانا تطلق إحداهما في موضع الأخرى، وفي الحقّ أن بينهما اختلافا واضحا في الاصطلاح، فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه، والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال).**[2] فالشائع أنّ التداخل المصطلحي قد مسّ جلّ إن لم نقل كلّ المناحي العلمية، وهو الشأن بين المناظرة والجدل، غير أنّ الأكيد أنّ هناك فرقا واضحا بينهما يتمثل في أنّ المناظرة تهدف إلى إظهار الصواب في القضية التي هي محلّ النظر بالحجج القوية الصريحة، بينما الجدل يهدف إلى الغلبة و الفوز على الخصم بأيّ طريقة حتى و لو كانت حججه لا تمت إلى الصدق بشيء، وفي ذلك عدول عن أخلاقيات المناظرة.

غير أنّ هذا لا يعني أنّ المناظرة قد تأخذ حيزاً أو منحى آخر، فتنقلب إلى الجدل إذ **(قد يبتدئ المتناقشان متناظرين طالبين للحق، فينقدح في ذهن أحدهما رأي يثبت عليه، ويأخذ في جذب خصمه إليه، وإلزامه به، وحينئذ تنقلب المناظرة جدلا).**[3]

---

1. محمد الأمين مصدق: الحجاج والجدل والمناظرة، أوجه التشابه والاختلاف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 03، العدد05، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، الجزائر، 2019 ،ص 232.
2. محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، 1934، ص5.
3. محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص 05

و بالتالي فإنّ أهم الفروق التي تسجل في هذا المقام نقدمها كما يلي:

- (تهدف المناظرة إلى إظهار الحق وفي هذا احتراز من الجدل الذي يهدف إلى الإفحام والمغالبة، والظهور على الخصم والنيل منه.
- تستند المناظرة إلى الدليل البيّن و الحجة القاطعة وصحة الأدلة والبراهين بينما قد يستند الجدل إلى حجج قاطعة أو باطلة.
- للمناظرة ضوابط وآداب يحتكم المتناظران، بينما قد يخرج المجادل عن الآداب والضوابط).[1]

ج: بين المناظرة والحوار :

تقوم كل من المناظرة و الحوار على وجود أكثر من طرف يدور بينهم موضوع ما، غير أنّ **(المحاورة أعمّ من المناظرة، وكلّ منهما حوار في الأصل، لأنّ التحاور يقتضي المجاوبة بين طرفين يتبادلان الكلام، غير أنه إذا وُجد في الحوار محاجة أو مجادلة أو خصومة أو نزاع كان مناظرة، وإذا انعدمت فيه المحاجة أو المجادلة أو الخصومة كان محاورة).**[2]

نستخلص أن المناظرة في أصلها حوار بلمسة حجاجية.

أما عن جملة العلائق التي يمكن تمييزها بين المناظرة والحوار فهي كالتالي:

- . **(أنّ ثمة توافقا بين الحوار والمناظرة، في كون كل واحد منهما محادثة بين طرفين.**
- **يفرق الحوار عن المناظرة في كونه لا يقوم على وجود التضاد بين المتناظرين والخصومة وإنما المناظرة هي التي تقوم على وجود التضاد بين الطرفين، للاستدلال على إثبات أمر يتخاصمان فيه نفيا وإيجابا بغية الوصول إلى الصواب.**

1. محمد الأمين مصدق: الحجاج والجدل والمناظرة، ص 232.
2. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي : الحوار والمناظرة في الإسلام ، ص 48.

❖ **و الحوار بمفهومه الواسع يضم المناظرة وغيرها بمعنى أنّ المناظرة فرع من المحاورة، فالمحاورة في أصلها مجرد عرض لوجهتي نظر).**[1]

إجمالا يمكن أن نعتبر أنّ المناظرة فنّ يهدف فيه الكاتب إلى إظهار ما يمتلكه من براعة أسلوبية، ومقدرة بيانية تنبئ عن التحكم الجيّد في اللّغة، كما تعتبر من أفضل الوسائل التي تعكس إمكانية التأثير في الطرف والطرف الآخر، من خلال ما تحدثه فيه من إقناع و استمالة. فهي من دون شك تمثّل تمظهراً حجاجيا بامتياز.

1. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي: المرجع السابق، ص 48.

الفصل الثاني:

تقنيات حجاجية في المناظرة: دراسة تطبيقية

(مناظرة السيف والقلم: لابن الوردي أنموذجا)

المبحث الأول: ابن الوردي ورؤية حول مناظرة السيف و القلم.

تمهيد:

لقد شغل موضوع السيف والقلم الكثير من رواد الأدب العربي (أدباء و شعراء)، وجرت عديد المناظرات والمفاخرات بينهما، فقد **(تحدث كثير من المؤلفين عن تلك المناظرات الإبداعية بين الأداتين في نصوص أدبية تنم عن خيال أدبي راق ، وإبداع فنّي معّبر ينطلق من الأدب التخيلي، حيث يتصدر الخيال والتصور ما يرسمه الأديب في حديثه عن الأداتين).**[1]

ولعل هذا الاهتمام مرده إلى الواقع والحياة الاجتماعية التي كانت تنعكس على الحياة الأدبية والثقافية وتتجلى فيها ، حيث كانت الأمم تولي أهمية بالغة لجانب الأمن والسلامة دون أن تهمل أو تتغاضى عن الجانب التعليمي والتثقيفي، ولاشك في أن السيف والقلم هما السبيل إلى ذلك .

(ومن تلك الرسائل، ثلاث رسائل في المناظرة بين السيف والقلم:

- ✓ **الأولى للأديب** : محمد بن عمر بن المظفر الوردي (749هـ)
- ✓ **الثانية للأديب:** محمد بن نباته المصري(768هـ)
- ✓ **الثالثة للأديب:** أحمد بن علي بن الفزاري القلقشندي (821هـ)

فالأدباء في رسائلهم تناولوا موضوعا واحدا مشتركا ألا وهو السيف والقلم، لكن كل منهم أدلى فيه بدلوه بطريقته وأسلوبه.(**وقد حرص الأدباء في الرسائل الثلاثة على حصرها في موضوعها وهو المناظرة بين السيف والقلم، وذكر صفات كل منهما من**

1. جابر ابن بشير المحمدي، مناظرة السيف والقلم في ثلاث رسائل تراثية، دراسة أدبية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، المدينة المنورة، ص111.

خلال إجراء مناظرة ومحاجة بينهما في تعداد خصائصه، وماله من الميزات التي يتفوق بها على نظيره).[1]

وهذا يسجل التاريخ أن أوائل المناظرات التي جرت على لسان السيف والقلم لها امتداد أقدم حيث **(تعود بداية مناظرات السيف والقلم لأبي تمام ، فقد عقد مناظرة شعرية في فتح عمورية، وكانت نتيجة المناظرة هي الانتصار للسيف)** [2]حسب قوله :

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حدّه الحد بين الجدّ واللّعب.[3]

المطلب الأول : نبذة مختصرة لسيرة ابن الوردي (691. 749هـ)

هو عمر بن مظفر بن محمد بن أبي الفوارس المعري بن الوردي يلقب بزين الدين ويكنى بأبي حفص، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة من الهجرة (691هـ) بمعرة النعمان بسورية."

أخذ ابن الوردي العلم عن فحول العلماء، فأخذ عن القاضي شرف الدين البارزي بحماة، وعن الفخر خطيب جبر بن بحلب وذكره ابن الألوسي في عداد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية)[4]

(خلّف ابن الوردي الكثير من التصانيف نذكر منها :

. شرح ألفية ابن مالك .

. تتمة المختصر ويعرف بتاريخ ابن الوردي.

. الشهاب الثاقب في التصوف .

---

1. جابر ابن بشير المحمدي، مناظرة السيف والقلم، ص 116.

2. نفسه، ص 113.

3. ديوان أبي تمام الطائي، تح: محي الدين خياط، محمد جمال، نظارة المعارف العمومية الجليلة، باب المديح ، حرف الباء، ص7.

4. زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردي الشافعي : ديوان ابن الوردي ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 1427هـ/ 2006م ، ص7.

. الباب في الإعراب

توفي ابن الوردي في السابع من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة من الهجرة (749هـ) في الطاعون العام بحلب بعد أن عمل فيه مقامة سماها (النبأ في الوباء).[1]

المطلب الثاني: موضوع المناظرة وشخصياتها.

تتناول المناظرة التي بين أيدينا موضوعا لطالما شغل الكتّاب والأدباء، وأسال حبرهم وشحذ خيالهم كثيرا، وهو السيف والقلم، وأيهما أفضل، ذلك أنهما ركنا الحكم وعدتا القول والعمل، حيث تشمل هذه المناظرة ثناء كل طرف ومدحه لنفسه وترفّعه، وفي المقابل يقوم باستصغار الطرف المقابل (الخصم) وتحقيره والحطّ من قيمته وأهميته، وكل ذلك في قالب حواري حجاجي يعرض فيه كلٌّ حججه وأدلته لتأييد رأيه ومحاولة إقناع خصمه بتبني رأيه وموقفه .

أمّا عن شخصيات المناظرة فلدينا شخصيتان أساسيتان هما السيف والقلم، فهما قطب رحاها، كما لدينا كذلك شخصية الراوي (المؤلف ابن الوردي) الذي يتولّى إدارة الحوار بينهما وكذلك شخصية الحكم (المقرّ)، حيث كان القلم هو المبادر إلى الحوار، وقد أخذ الدور حوالي 31 مرة تلاه السيف بحوالي 25 مرة، كما كان آخر دور عنده (القلم) أيضا .

المطلب الثالث: غرض المناظرة.

جاءت رسالة ابن الوردي على منوال خاص لم يكن متداولا في كتابة المناظرات، ذلك أنّه (**في رسالته عن السيف والقلم قدم سبب إنشاء الرسالة في عتبة النص، ولم يبدأ رسالته بالرسوم المقررة لها**).[2] فقد ابتدأ مباشرة في توضيح الغرض من هذه المناظرة، والذي كان محاولة عقد جلسة للحكم والفصل بين السيف والقلم.

1. ديوان ابن الوردي، ص 12.

2. جابر بن البشير المحمدي، مناظرة السيف والقلم، ص 132.

فبدأ بقوله: **(لما كان السيف والقلم عدتي العمل والقول، وعمدتي الدول، فإن عدمتهما دول فلا حول، وركني إسناد الملك المعربين عن المخفوض والمرفوع، فكرت أيهما أعظم فخرا وأعلى قدرا، فجلست لهما مجلس الحكم للفتوى ومثّلتهما في الفكر حاضري الدعوى، وسويت بين الخصمين في الإكرام واستنطقت لسان حالهما في الكلام).** (الديوان، ص51)

ذلك أن أغلب المناظرات والرسائل إنما يكون افتتاحها بالحمد لله و التسليم ثم الثناء على الرسول صلى الله عليه و سلم، بعدها يكون الولوج إلى الموضوع المبتغى، في حين أن ابن الوردي لم يلتزم بهذا الترتيب، بل استفاض مباشرة في موضوع المناظرة و ما ذلك برزية ولا نقيصة .

بيد أن هناك من يقول أن ابن الوردي **(لم يذكر سبب كتابة الرسالة ولكن القارئ لها يدرك بجلاء حرص ابن الوردي وإلحاحه على إبراز براعة قلمه وجودة صنعته في إنشاء ما يكتب.**

فقد حشد في متن الرسالة جُملاً اصطنعها لإظهار البراعة ونشر بضاعته اللغوية، وسعة معجمه الكتابي، وقدرته على تلوين العبارة والتفوق في ذلك).[1] وهذا ما لمسناه حقا في هذه المناظرة، فكأنّك وأنت تتصفحها تغوص بين عوالم بلاغية و إبداعية جمّة. حتى أنّك لن تفهم كثيراً من ألفاظها إن لم تستعن بمعجم أو دليل ينتشلك من غيابات جُبّها.

و من هذا المنطلق نستطيع أن نصنّف هذه المناظرة ضمن قسم المناظرات التخيلية التي يطلق فيها الكاتب العنان لفكره وقلمه عاقدا مجلسا للمناظرة بين طرفين لكن بلسانه هو على لسانهما.

1. جابر بن البشير المحمدي : مناظرة السيف والقلم، ص 115.

المطلب الرابع: حسن الابتداء ومسك الاختتام.

حتى يتمكن الأديب من استمالة المتلقي وشدّ انتباهه إليه فلابد له من قوة كلامية يسيّجه بها، ولا يتأتّى له ذلك إن لم يبدأه بافتتاح لافت حسن يستميله لمواصلة الاستماع في شوق إلى النهاية والختام .

حيث يقول ابن رشيق :(**حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح (...) وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**).[1]

فقد افتتح متن المناظرة بالبسملة والحمد والثناء على الله عز وجل بعد ذلك التمهيد الوجيز، فقال على لسان القلم :(**بسم الله مجريها ومرساها، والّليل إذا يغشاها، أمّا بعد حمد الله خالق القلم، ومشرفه بالقسم، وجاعله أول ما خلق، جمّل الورق بغصنه كما جمّل الغصن الورق**).(الديوان، ص51)

ثم ثنّاها بالصّلاة والسّلام على الرسول الأكرم . صلى الله عليه وسلم . قائلا:(**والصلاة والسلام على القائل " جفّت الأقلام "**).(الديوان ص51)

وكذلك الشّأن حين أُحيل الكلام إلى طرف المناظرة الثاني . وهو السيف . فقد افتتح حديثه بالبسملة والحمد والصلاة على الترتيب، قائلا : (**بسم الله الخافض الرافع ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع أما بعد حمد الله الذي أنزل آية السيف فعظّم بها حرمة الجرح، وآمن خيفة الخيف، والصلاة على الذي نفّذ بالسيف سطور الطروس وخدمته الأقلام ماشية على الرؤوس، وعلى آله وصحبه الذين أرهفت سيوفهم، وبنيت بها كسر الأعداء حروفهم**).(الديوان، ص52)

فالافتتاح اتسم بطابع ديني مستمد من التعاليم الإسلامية السمحة أما عن الاختتام، أو كما يسميه البعض بالتخلص، فيظهر عند ابن الوردي حسنه في انتقاله من مقدمة

1. أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5،(1401هـ/ 1981م)، ج01، ص217

الرسالة إلى متن المفاخرة بحديث القلم عن خصائصه، مرورا إلى حديث السّيف أيضا عن خصائصه، وردّه على القلم واحتدام الصراع بينهما ببثّ كل طرف منهما لحججه في سبيل إقناع الآخر بأفضليته ومكانته، وصولا إلى الختام الذي هدّأ فيه بين الخصمين قائلا: (**فلماّ رأيت الحجتين ناهضتين والبينتين بينتين متعارضتين ... لطّفت الوسيلة ، ودقّقت الحيلة حتى رددت القلم إلى كنه، وأخمدت السيف فنام ملء جفنه، وأخرت بينهما الترجيح وسكت عما هو عندي الصحيح**) .(الديوان، ص55) دون الفصل بينهما بالتفضيل أو التخيير. فهو لم يرجّح بينهما ولم يفصل في أفضلية أحدهما على الآخر. بل ترك مجال الحكم والفصل للمقرّ.

المبحث الثاني: تقنيات حجاجية بلاغية وأخرى في مناظرة ابن الوردي.

مدخل:

يعتبر الحجاج من أهم مرتكزات التداولية التي تولي اهتماما بالغا بالخطاب(**فهو يمثّل عددا من التقنيات الخطابية التفاعلية التي يحاول المتكلم من خلالها استمالة المستمع وإقناعه بما يعرض عليه، فأينما وجد خطاب فثمة إستراتيجية معينة يقصد إليها المتكلم وعقليا، إما لإقناع نفسه أو لإقناع غيره**) .[1]

ذلك أنّه يتعلق بالأساس باللغة في علاقتها بمستعمليها (المرسل أو المتلقي)، وبالتالي فهو يقوم على التفاعل القائم بين هذه العناصر، حيث يمسك المتكلم بزمام العملية التخاطبية، في محاولة منه للتأثير في شريك التواصل الثاني وهو المتلقي، والذي تدور حوله هذه المهمة، وذلك باعتماد جملة من الآليات أو التقنيات التي يوظّفها المتكلم لإقناعه واستمالته إليه.

فحتّى يتمكن المخاطب من إقناع الطرف الآخر والتأثير فيه واستمالة عواطفه، فإنّه يعمَد إلى مجموعة من التقنيات الحجاجية التي يقوي بها أقواله ويدعم حججه، إذ "(**يعتمد الحجاج بالخطاب الطبيعي على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المخاطب لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يَحُفُ بخطابه**).[2]

وبما أننا نتكلم عن الحجاج، فنحن حتما في مجال اللغة الطبيعية، واللّغة بطبيعتها مطواعة ومرنة، يتحكم فيها مستعملها حسب ما تمليه عليه الظروف والمقام الذي يوجد فيه، وبالتالي فهي تخدمه وتساعده في تحقيق ونجاح العملية الإقناعية.

---

1. محمود حمزة محمد: تقنيات الحجاج في كتاب (حوار مع صديقي الملحد)، مجلة كلية الآداب اللغويات والثقافات المقارنة، مج 12، ع2، 2020، ص84.

2. عبد الهادي بن ظافر الشهري: آليات الحجاج وأدواته ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص79.

ومن هذا المنطلق سوف نحاول التطرق لجملة من الصور البيانية المنضوية تحت مجال علم البيان كالاستعارة والكناية والتشبيه من جهة، وكذا بعض المحسنات البديعية المندرجة تحت مجال علم البديع كالطباق والمقابلة والسجع. وكل ذلك من باب:

التقنيات البلاغية

المطلب الأول: حجاجية الصور البيانية

يتماشى الحجاج والجمال معا لخدمة المتلقي، فكلّ منهما يكمّل الآخر بغض النّظر عن لمن الأولوية بينهما، إذ **(الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها).**[1]

فما أجمل أن يضرب الكاتب أو الأديب عصفورين بحجر واحد، فيجمع بين الإقناع والإمتاع في مقام واحد.

ومن هنا فإنّ **(أهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي الفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له).**[2]

وفي هذا المقام نستحضر فكرة تسييج المتلقي لإقناعه.

ولهذا يرى بيرلمان أنّ**(وظيفة البلاغة الأولى هي الإقناع وليس التأثير فقط).**[3] إذ كلما كانت الصور البلاغية (المجازية) أقوى وأبلغ كان الالتحام والتشارك ظاهرا بين المتكلم والمتلقي.

1. سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي، ص 120.

2. نفسه، ص 120.

3. جميل حمداوي: نظريات الحجاج، ص 29 .

ومن هذا المنطلق سوف نحاول التطرق لجملة من الصور البيانية المنضوية تحت مجال علم البيان كالاستعارة والكناية والتشبيه من جهة، وكذا بعض المحسنات البديعية المندرجة تحت مجال علم البديع كالطباق والمقابلة. وكل ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر.

أ- حجاج الاستعارة:

الاستعارة أسلوب بلاغي من أساليب علم البيان، وتعني استعمال اللفّظ في غير معناه الموضوع له في أصل اللغة، تقوم بالأساس على التشبيه وهي من أقوى الصوّر على الصّعيد الحجاجي، حيث **(يعتقد الكثير من البلاغيين أنها فعّالة بشكل خاص، وفي بعض الأحيان تكون أكثر الصور موضوعية إذا كان الأمر يتعلق بإقناع الجمهور).**[1]

فالاستعارة تعتبر أسلوب من الأساليب البلاغية التي تحمل صيغة حجاجية بين ثناياها، يلجأ إليها المتكلم كوسيلة إقناعية يؤثر بها في مخاطبه، وذلك نظرا لفاعليتها وقوتها الإقناعية في شدّ اهتمام وانتباه المتلقي.

كما تعدّ الاستعارة أيضا **(أفضل المجاز، وأوّل أبواب البديع وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها).**[2]

فالاستعارة تجمع بين الجانبين الجمالي الفني والحجاجي التأثيري وهي**(من الوسائل اللّغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية ، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري).**[3]

1. محمود حمزة محمد: تقنيات الحجاج في كتاب حوار مع صديقي الملحد، ص 394.
2. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص268.
3. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 105.

فإذا سلّمنا بمجازية اللغة الطبيعية وأن الاستعارة هي أبلغ أنواع المجاز وأقواه، فلا ضير أن ندرج هذه الأخيرة" الاستعارة" ضمن أهم الخصائص المميّزة للغة البشرية وبالتالي فإن اعتمادها في التأثير على المتلقي واستمالته يمكن التسليم بأنه من أهم التقنيات البلاغية الحجاجية المعتمدة .

ومما نادى به بيرلمان أن (**الصوّر البلاغية ليست صورا فنية وجمالية وتزينية وظيفتها الإمتاع فقط، كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز، ويترتب على هذا أن الاستعارة حجاجية واقناعية ليس إلاّ)** .[1]

ومن هذا المنطلق فيجب على الاستعارة أن تعمل على الصعيدين الجمالي و الحجاجي إذ(**يجب أن تهدف الاستعارة في إطار الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية، وإلاّ تصبح مجرّد محسّن بديعي، لا تعدو أن تصبح مبعث إعجاب أو مصدر استحسان للمتلقي لا غير**).[2]

و(**قد تعلو الاستعارة استعمال ألفاظ الحقيقة، وذلك لأنه لا يفضّل المرسل استعمالها، إلاّ لثقته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجيا**).[3]

فهي تحمل جانبا جماليا يستثير المتلقي ويشدّ انتباهه لإعجابه واستمتاعه به، وهذا الجانب يحيل . لا محالة إلى الجانب الحجاجي ويخدمه، حيث يساعد في استمالة المتلقي والتأثير فيه، وبالتالي يسهل إقناعه بما يريده المتلقي.وتمثيلا لذلك نذكر:

- "**جَمّل الورق بغصنه كما جَمّل الغصن الورق**"(الديوان، ص51)

وظيفة القلم الكتابة، وخير ما يزين الورق هو الكتابة، وادعاء الغصن للقلم من باب المجاز، فشبه القلم بالغصن الذي يجمل الأشجار، فترى الأغصان دانية باسقة ذات أشكال مختلفة ترى فيها الحسن يرسم جماله عليها، و لكن الكاتب لم يشر إلى القلم إلا

1. جميل حمداوي : نظريات الحجاج، ص19.
2. نفسه، ص 29.
3. عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص494.

من طريق المجاز فذكر لفظة من غصنه الدالة على القلم، وبالتالي فإنّ هذا الادعاء يستدعي صورة الشجرة وغصنها في الذهن، فتجد أن الصورة الكلية لا تتصور إلا بحضور صورة الشجرة وغصنها، وقبل استحضار صورة الشجرة مع غصنها تجد المعنى غير قائم في الذهن بالصورة المقصودة بدون الاعتماد على المجاز، فنقل ما لا يدرك بالعقل إلى ما يدرك بالعقل بواسطة التشبيه على سبيل الاستعارة، و تنزيله من مرتبة الخيال إلى رحاب الواقع والحقيقة هو الذي يجعل قوة الاستعارة والتصوير والإقناع قائمة ومضمنة فيه، فترى النفس تقبل على تخيل تلك المشاهد وتقارنها بعضها ببعض فتقتنع بتلك القضايا أو تلك الأمور.

لنخلص إلى أنّ وظيفة الاستعارة من الناحية الحجاجية أنّها تقرّب المعنى إلى المتلقي حتى يسهل تمثّله، و بالتالي يحصل الإدراك و الفهم.

فهي في هذه الحالة خير معين للمتكلم لتبليغ ما يريد، حيث يلجأ للاستعارة كحجة يقوي بها كلامه للوصول إلى النتيجة المقصودة وهي استمالة المتلقي وإقناعه.

ب- حجاج التمثيل(التشبيه):

التمثيل كالاستعارة، أسلوب بلاغي من الأساليب البيانية يقوم على على أساس المشابهة و المماثلة، حيث تعقد فيه (**الصورة بين اثنين، ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه**) [1]، وتعدّ الاستعارة ضرباً من ضروبه.

ويعرّفه الجرجاني بقوله: **(مما اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة (...) فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر).**[2]

1. عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 497.

2. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 115.

ذلك أن التّمثيل في أصله يحمل شحنة جمالية، فإذا حمّلت بحمولة حجاجية صارت أكثر إقناعا وتأثيرا.

وأضاف السيوطي أنّ التمثيل من الأساليب المرسّخة للمعاني في النّفوس، وبالتالي فهو أسلوب إقناعي، إذ يقول:(**فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصّع المعاني في القلوب وتلتصق بالصدور، ويزيد حسنه وحلاوته وطلاوته بضرب الأمثلة به والتشبيهات المجازية**).[1]

إذا نخلص إلى أنّ (**التمثيل أسلوب يتوخّاه المتكلّم في الاحتجاج فيقدّمه على أنّه دليل أقوى لصالح النتيجة المتوخّاة، وهذه خاصية مميزة للقول التشبيهي**).[2]

فالمتكلم حتى يصل إلى غايته ومراده من استمالة عقل المتلقي وإقناعه بما يعرضه عليه فإنه يستعمل شتى الطرق والآليات، ولعلّ التمثيل أحد تلك السبل التي يسلكها، وذلك لتقوية حججه بغية الوصول إلى النتيجة المبتغاة .

ومن ثنايا المناظرة التي على بساط بحثنا نذكر المثال التالي:

- **لا يُشترى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس.**

فالسيف يفتخر بأنّه ليس كالقلم رخيس الثمن، فكأنّ ما زهُد ثمنه قلّت قيمته و في ذلك استصغار واضح. عكس السيف الذي يقرّ بغلاء سعره و بالتالي ليس من هبّ و دبّ يقتنيه، بل يتنافس عليه أصحاب المال و الجاه. كما أنّه ليس مثله في الخطأ و الغلط يكتب و يمحي، وكأنّ في ذلك نوعا من التردد والإحجام، بينما هو(السيف) فصاحب الحزم والإقدام.

وقد استُعمل هذا التمثيل ليتمكّن الطرف المتكلّم من بيان حججه لمتلقيه، وكلّ ذلك في سعي حثيث منه لإقناعه بما يطرحه عليه من قضية.

1. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث القاهرة، ط3، ج 1، 2008، ص37-38.

2. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص 264.

ج- حجاج الكناية

الكناية، ويقصد بها **(أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره بالّلفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تَالِيه ورِدْفُه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه).**[1]

أما الجاحظ فهي حسبه: **(التعبير عن المعنى تلميحا لا تصريحا وإفصاحا كلّما اقتضى الحال ذلك)** [2] مضيفا أيضا أنه: **(من البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة)**[(3)] .

ففي بعض المواضع يكون التّعبير بالكتابة والعدول عن اللّفظ الصريح أسهل وأقرب إلى ذهن المتلقي ولسان المتكلم، وبالتالي فهذا الاستعمال للكناية يكون أقوى وأبلغ من الصريح.

بينما يقرن أبو هلال العسكري بينها وبين التعريض قائلا: **(الكناية والتعريض أن يكنّن عن الشيء ويعرّض به ولا يصرّح).**[4]

وقد استعمل ابن الوردي الكناية في مناظرته بتوازن، وتكمن حجاجيتها في تلك العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المحاجج (السيف / القلم) والمتلقي (القلم/ السيف).

ومن أمثلة الكنايات المبثوثة في المناظرة نذكر :

«**جَفَّتْ الْأَقْلَامُ** » و هو مقتبس من الحديث النبوي الشريف: **(يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ**

1. أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط05، 2004م، القاهرة، ص 66.

2. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية- علم البيان، ص 204.

(3)- الجاحظ، البيان والتبيين، ج 01، ص88.

4. أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 368.

فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[1] هو كنايةٌ عن تقدُّم كتابة المقادير كلِّها، والفراغ منها من أمدٍ بعيد، فإنَّ الكتابَ إذا فُرِغَ من كتابته، ورفعت الأقلامُ عنه، وطال عهده، جفّ مداده الذي كتب به، و فيها إشارة إلى أن ما كتب لا يمحى لطول عهده، فالقلم إذا جف مداده انتفت عنه صفة الكتابة، فكذلك القضاء والقدر إذا خطا فقد وجب ولا يتغير و لا راد لقضائه و قدره سبحانه و تعالى، و هذه مثل قوله تعالى: قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

قصب السبق: يقال فلان حاز قصب السبق، أي: فاز و انتصر، و أصله أهم كانوا ينصبون قصبة في الحلبة ثم يتسابقون و يتنافسون فيما بينهم من يقتلعها يكون هو الفائز، و هي كناية عن الفوز و الظفر.

و قاتل في البعد: القتال من صفات الأحياء و وصف القلم به من باب المجاز، و معنى ذلك أن أذاه يصل إلى الأباعد على عكس السيف، و هو كناية عن بلوغ أثره الغاية ووصوله إلى مبتغاه و لو بعدت الشقة، و في هذا إعلاء لشأن الكلمة و قوة تأثيرها في النفوس.

فقد قُدِّمت هذه الكنايات كحجج استند إليها كل طرف في القضية ليصل إلى النتيجة التي يبتغيها لنفسه أو لخصمه، والتي دائما ما كانت تصبّ في مصبّ الافتخار بالنفس و نعتها بأفضل النعوت، و في المقابل التقليل من شأن و أهمية الآخر و محاولة إلقاء كل نقيصة عليه، و الغاية المنشودة من كلّ ذلك هي استمالة المتلقي و التأثير فيه، في محاولة حثيثة لإقناعه .

(1)–محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، طبعة جديدة، رقم الحديث:2516، الرياض، السعودية، ص: 667.

المطلب الثاني: حجاج المحسّنات البديعية:

لا يقتصر دور المحسّنات البديعية على وظيفتها الشكلية الجمالية فقط بل لها دور حجاجي يكمن في الإقناع، الاستمالة والتأثير. وفي هذا الصدد يقول "**إن محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسّن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة،أي باعتباره محسن أسلوب؛ ويعود الفضل ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع.**"[1] فالفارق الجوهري في نقل نفس اللفظ من وظيفته الجمالية إلى الوظيفة الحجاجية هو الإقناع، فإن هو عجز عن تحقيق هذا الغرض"الإقناع" أرجع إلى وظيفته الأولى الفنية فقط.

وقد تعدّدت المحسنات البديعية ذات القوة الاقناعية في مناظرة ابن الوردي، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

أ- حجاج الطباق / المطابقة:

الطباق أو المطابقة هو:(**الجمع بين الضدّين أو بين الشيء وضدّه في كلام أو بيت شعر، كالجمع بين اسمين متضادين أو غير ذلك).**[2]

ويسعى المتكلم من وراء استعمال الطباق كمحسن بديعي إلى تحسين الكلام وتنميقه وبالتالي إضفاء جمالية عليه.

لكن هناك مقاصد أخرى تكون حجاجية يكون الغرض منها إثارة ذهن المتلقي وجذب انتباهه، فالطّباق كنوع من التّضاد يُبرز المعنى ويقوّيه، فبالتّضاد يفهم كثير من الكلام، الغامض المبهم، فالأشياء تُعرف بأضدادها فالطباق في المجمل هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام.

1- صابر الحباشة: التداولية و الحجاج مداخل و نصوص، ص 51.

2. عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم البديع، ص: 77.

وهناك من الطباق ما يكون بمجيء الكلمة وضدّها مباشرة كالليل والنهار/ البياض والسواد، وهو ما يسمّى بطباق الإيجاب. وهناك ما يكون بالكلمة وضدها، لكن بدخول النفي عليها: مثل يعلم لا يعلم، يشعر لا يشعر، وهو ما يسمى بطباق السلب.

ولعلّنا نرصد بعض هذه الطباقات فيما يلي :

المخفوض . المرفوع (ص51)/ **المحمول . الموضوع** (ص 51).

مجراها . مرساها (ص51)/ **نهى . أمر** (ص52).

الخافض . الرافع (ص 52) /**الجد . اللعب** (ص52) / **لا يبلى . يبلى** (ص52)

سواد . بياض (ص53)/ **الرّهب . الرّغب** (ص53).

فحجة كلّ طرف (السيف/ القلم) لها تأثير في الخصم تدفعه للرّد على خصمه بنقيض ما يدّعي، ففي كل الأحوال يصف كل خصم نفسه بأجمل وأحسن الصفات وينعت خصمه بأقبح الصفات وأبشعها .

وهذا ما يدعى بالحجاج بالطباق، والذي يقوم بوظيفة حجاجية تتمثل في تلك القوة الإقناعية التي يرومها كل طرف (السيف / القلم) للتأثير في خصمه ومحاولة استمالته، والتي يبذل لها كل طاقته وقدرته الفكرية والخطابية. تظهر قوة الطباق في تحريك العقول والعواطف معاً، ويلجأ إليه الأديب لأجل المفاضلة بين شيئين والمقارنة بينهما، وهذا ما يزيد من عملية التأثير والاستمالة، وبالتالي يمنح الكلام معنى وقوة إقناعية.

وفي الأخير نقول أن الطباق لم يُؤْتَ به من أجل الزخرفة والتنميق فقط، بل من أجل التأثير وتحقيق المتكلم لمقاصده، ومن ثم إقناع المتلقي بما يريد.

ب- حجاج المقابلة:

المقابلة عند أبي هلال العسكري هي (**إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على وجه الموافقة أو المخالفة**)[1] وذلك لتوضيح فكرة غامضة أو تقريب المعنى من الأذهان ليسهل استيعابه.

1. أبو الهلال العسكري : كتاب الصناعتين، ص337.

في حين يرى ابن رشيق أنّ المقابلة أصلها **(ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا وآخر ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه).**[1]

وقد وردت المقابلة في مناظرة " **ابن وردي** " في مواضع عدة نذكر منها تمثيلا لا إجمالا ما يلي:

- **قال السيف :(فإن كان القلم شاهدا، فالسيف قاض)**(الديوان، ص52). فالسيف يفتخر بمنزلته ويرفع منها ويطلب الأعلى دوما، وينقص بالمقابل من مكانة القلم، ذلك لأنّ مرتبة القضاء أعلى من الشهادة، فالشاهد يدلي بأقواله لكنّ الفيصل في الحكم هو القاضي، وفي ذلك افتخار من السيف واستصغار للقلم.
- **قال القلم: (هو القائم عن الشمال وأنا الجالس على اليمين) (الديوان،ص52)** يرد القلم على السيف استصغاره إياه باستصغار آخر، حيث فضّل نفسه ومكانته ولربما ذلك يرجع لخلفية دينية أو ثقافية تتمثل في قيمة اليمين على الشمال في أغلب الأحيان والمواقف كالأكل باليمين كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما وصف نفسه بالجلوس كناية عن الرّاحة في مقابل الوقوف الذي نسبه للسيف و الذي يوحي بالتّعب، وفي ذلك مدح لنفسه واستهزاء بالسيف .

وكذلك الحال مع أغلب الأمثلة :

- **قال القلم:(أنا آلة الحياة وأنت آلة الرّدى)(الديوان،** ص53)
- **وقال:(أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أفني العمر في الطاعة)** (الديوان، ص53).
- **و قال:(أنت للرّهب وأنا للرّغب)**(الديوان، ص53)

1. أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط02،(1374هـ-1955م)،مصر، ج02، باب المقابلة ، ص 15.

- **و قال:(نحن أهل السمع و الطاعة، ولهذا تجمع في الدّواة الواحدة منّا جماعة، وأمّا أنتم فأهل الحدّة و الخلاف، و لهذا لم يجمعوا بين سيفين في غلاف) (الديوان،** ص54)

فكلّ طرف يقدّم حجته لنظيره، وذلك بنسبة كل ما هو فخر وإيجابي لنفسه، وإسقاط كل ما هو سلبي ومذموم على خصمه، و هذا أمر يزيد من شدة الخصام، و يذكي قريحة كل مناظر.

وهذا الجانب الحجاجي الذي تؤديه المقابلة يكون أقوى كلما كانت الحجج والحجج المضادة لها قوية، ولا شك أن هذا الجانب الحجاجي يبرز بطريقة أبلغ من الوظيفة الجمالية التي تؤديها المقابلة في هذه المناظرة، وذلك نظرا لطبيعة الخطاب وملائمة المقام .

فهي تساهم في إيصال المعنى إلى المتلقي بصورة موجزة وموحية، ذلك أن الإيجاز من أهم متطلبات الحجاج، فكلما كان الكلام موجزا كان أبعد عن الملل والرتابة والنسيان، ولذلك لجأ إليها الأديب للوصول بالمتلقي إلى فهم المعنى والإقناع بالموضوع، والتأثير فيه.

ج- حجاج السجع:

ويعرّف السجع بأنّه **(توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد)**[1].

ولعلّ هذه السمة البديعية تلازم العديد من الفنون الأدبية كالخطب و المقامات والمناظرات...، ولعلّ مردّ ذلك إلى أهميتها البلاغية والحجاجية، فهو يلعب دورا مهما في إقناع المتلقي وحمله على تصديق كلام المتكلم والاقتناع به.

و قد ورد السجع في هذه المناظرة بصورة كبيرة، إذ لا تكاد تخلو فقرة من حضوره، و نمثّل لذلك بما يلي:

(1)-عبد العزيز عتيق، علم البديع، ص: 215.

- ✓ **(إنّ السيف عظيم الدولة، شديد الصولة، محا أسطار البلاغة، و أساغ ممنوع الإساغة)**(الديوان، ص 52).
- ✓ **(فكأنّ السيف خلق من ماء دافق، أو كوكب راشق، مقدّرا في السرد، فهو الجوهر الفرد)**(الديوان، ص52).
- ✓ **(إن كنت للديوان فحاسب مهموم، أو للإنشاء فخادم لمخدوم، أو للبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحيّ القيوم)**(الديوان، ص53).
- ✓ **(أما أنا فلي الوجه الأزهر، والحلية و الجوهر، والهيبة إذ أشهر، والصعود على المنبر)**(الديوان، ص53)

فالسجع في هذه النماذج، والمناظرة حافلة به، إضافة إلى ما يحمله من بعد إيقاعي تطرب له الآذان، وتميل له القلوب، فهو يمنح الخطاب بعدا إقناعيا، لما يحقّقه من وظائف حجاجية، إذ أنّ السجع عندما يرد في الكلام فإنّه يسهل حفظه لترسّخه في الذهن نتيجة لقصر مقاطعه على الوجه الأعّم، وبالتالي يكون مدعاة للعمل به، ذلك لأنّه لا يكون مطية للنسيان.

فثراء نص المناظرة بالسجع يقوّي من الحجج، ويساهم في تبليغها إلى المتلقي بكلّ انسيابية وجمالية، وبالتالي قد تجعله يذعن ويقتنع، وهنا تكمن حجاجية السجع، ذلك لكونه قادرا على جذب المخاطَب إلى عالم الخطاب، وحمله على التصديق بما فيه من قضايا، وإقناعه بما أُريد إقناعه به، دون أن يشعر بالملل أو الفتور.

المطلب 03:آليات حجاجية أخرى في المناظرة.

1/ حجاج السّلطة :

حجج السلطة (**هي حجج تستمد قوتها الإقناعية من النفوذ الذي يمتلكه مصدرها، فأعمال أشخاص معينين أو أحكامهم قد تكون حجة على صحة أطروحة ما**)[1]، وذلك نظرا للمكانة الاجتماعية التي يتمتعون بها، فيؤثرون بذلك في غيرهم من الأشخاص.

و(**تختلف السُلَطُ في حجة السلطة وتتعدد كثيرا، فقد تكون شخصية: الأنبياء، العلماء، الفلاسفة ... وقد تكون السلطة غير شخصية مثل العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس ، وقد يُعمد في الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور السامعين**).[2] فكلّما كانت السلطة المحتج بها قوية كانت الحجج أقوى و النتيجة أضمن، وهي تتفاوت و تتراتب شرط أن يكون لدى المتلقي دراية ومعرفة بها، لأنّه من غير المعقول أن يحتجّ متكلم لمتلقي بسلطة ليس لديه أدنى فكرة عنها.

(والواقع أن حجة السلطة هذه كثيرة الشيوع ثابتة الطاقة الحجاجية فإذا أردنا دفعها بخطاب معارض أتينا بأحداث تفندها، أو واجهنا السلطة المعتمدة بسلطة أخرى تناقضها).[3] فهي ذات شحنة ووظيفة حجاجية عالية، ويُعتمد عليها كثيرا في الاحتجاج، و قد تُدفع سلطة بسلطة أقوى منها أو معارضة لها.

و الأكيد أن هذه السلطة قد تكون الشخص المتكلم نفسه إذا كان ذا مكان وهيبة في مجتمعه، وقد تكون لشخصية أخرى ذات سلطة يستشهد بها.

1. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 94.

2. عبد الله صولة: في نظرية الحجاج ، ص52-53.

3. عائشة الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص 235.

ومن أمثلة ما ورد في هذا المجال في مناظرة ابن الوردي نجد:

- **قال القلم (... والصلاة على نبيه محمد القائل جفّت الأقلام)** الديوان، **ص51.**
- **قال السيف (والصلاة على نبيه الذي نفذ بالسيف سطور الطروس)** الديوان، **ص52.**
- **وقال أيضا (حملته دون القلم يد نبينا، فشرف بذلك في الأمم شرفا نبينا)** الديوان، **ص52.**

فالسّلطة المحتج بها هنا تمثّلت في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل طرف يتفاخر على خصمه بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم . قد ذكره على لسانه أو حمله بيده الشريفة، وفي كلّ فخر ومفخرة، كما نجد في المناظرة أيضا:

- **قال السيف: (كيف لا أفضلك والمقر الفلاني شاد أزري ؟)** الديوان، ص55
- **قال القلم : (كيف لا أفضلك وهو عز نصره ولي أمري ؟)** الديوان، ص 55.

فالسلطة المحتج بها تعود على شخصية (المقر) والذي أُحيل إليه أمر الفصل والحكم بين السيف والقلم، استنادا إلى ما ذكره ابن الوردي بقوله **(أخّرت بينهما الترجيح وسكتّ عما هو عندي الصحيح، إلى أن يحكم المُقِرّ بينهما بعمله، ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسيط حلمه، ويعاملهما بما وقر في صدره من الوقار وسكن في قلبه من السكينة، وإذا كان في المدينة مالكنا فلا يُفتى ومالك في المدينة)** الديوان، ص 55 ، وفي هذا شخصية هامة أشار إليها ابن الوردي، وهي شخصية مالك ابن أنس، إمام دار الهجرة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. وبالتالي فهي سلطة وحجة قوية لا يمكن الاعتراض عليها، وفي ذلك التشبيه مدح للشخصية التي سوف تفصل بين طرفي القضية، و للإقرار بعدلها والرضا بحكمها.

كما جاء الاحتجاج بسلطة معروفة ومحترمة لدى الملتقى ولا يمكن له التشكيك أو الطعن فيها، ألا وهي الكتاب المسطور والبيت المعمور والكتب السماوية المتمثلة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ذي التبجيل .

وفي نفس الصدد نجد نوعا آخر من أنواع الحجج، نستطيع إدراجه تحت صنف الحجاج بالسلطة، لما يتميز به من قدرة اقناعية فهو(**من دعامات الحجاج القوية، إذ يضعها المخاطب في المكان المناسب، فهي ليست من إنتاج المخاطب بقدر ما هي منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية، إذ يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه، وبهذا تعلو الكلام العادي درجة**).[1]

فالمخاطب لا يأتي بهذه الحجج (الشواهد)، من بنات أفكاره فلا تكون وليدة اللّحظة، بل ينقلها جاهزة من مصدرها، ويوظّفها في مَتْنِ كلامه، وقد يكون هذا النقل حرفيا كما قد يكون بنوع من التصرف.

وتكمن براعة المخاطب في استعمال شواهده استعمالا يليق بالمقال والمقام معا، وفي اتساق وانسجام يستميل به مخاطَبه .

ولا يلجأ إليها إلا إذا رآها أقوى وأبلغ لتخدمه في موضوعه ويقوي بها كلامه ويدعم حججه ويسندها، فيحصل بها التأثير في المتلقي والإفهام .

و يمكن أن تكون هذه الشواهد دينية كالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما يمكن أن تكون شواهد شعرية أو ما شابه ذلك، وهذا ما سنعرض له من المناظرة التي أمامنا.

❖ **الاستشهاد بالقرآن الكريم:**

يعتبر القرآن الكريم من أقوى الحجج وأرفعها، فهو يمثّل السلطة العليا التي لا اعتراض عليها، ومن جملة الاستشهادات القرآنية التي وردت على لسان القلم في هذه المناظرة التي بين أيدينا نذكر ما يلي :

- **(بسم الله مجراها ومرساها، والنهار إذا جلاّها، واللّيل إذا يغشاها)** الديوان، ص 51. نقف هنا على اقتباس قرآني من سورتي: هود ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [هود: 41] والشمس ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾ [الشمس: 2-4] على التوالي، ويريد بذلك أنه يبتدئ عمله

1. حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 128.

بذكر اسم الله وبه ينهيه من طلوع الشمس إلى غروبها وحلول الليل، وذلك أنّ كل عمل لا يبتدئ باسم الله فهو أبتر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- **(أو من يُنشَأُ في الحلية وَهُوَ فِي الخِصامِ غَيْرَ مُبِين)** الديوان، ص 52.

وهو اقتباس من سورة الزخرف، ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: 18] ، وفيه سخر القلم من السيف وشبهه على الأغلب بالمرأة في ضعفه، وعند المخاصمة لا يستطيع أن يبين عن حجته ولا أن يدافع عن رأيه لرقّة وضعف في نفسه.

- **(وتقطع ما أمر الله به أن يوصل)** الديوان، ص 53، نجد فيه اقتباس من سورة البقرة (الآية 28) والرعد (الآية 25) ، حيث شبّه القلم السيف بالكفار والمنافقين الذين يفسدون في الأرض ووصفه بصفاتهم السلبية كقطع الأرحام التي شدّد الله سبحانه وتعالى عليها، وأمر بصلتها وذلك كناية عن القتل الذي يلحقه بالناس فتنقطع به العلاقات والأرحام.

بينما مما جاء على لسان السيف من استشهاد بالقرآن الكريم نذكر:

- **(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع)** الديوان، ص52، وهذا اقتباس من سورة الحديد ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد: 25] وفي هذا يفتخر السيف بأصله وأنّه رمز للقوة والشدة والمنفعة في الحروب والسّلم .

- **(لاسيما حين يُسَلُّ فَتَرى وَدْقَ الدَمِ يخرج من خلاله) الديوان،** ص 52.

وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾ [النور: 43] ، و من قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا**

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: 48] .

فالسّيف يشيد بشجاعته وقوّته، ويخبر أنّ الجنة تحت ظلاله، ففي المعارك وعند احتدام الصراع لا ترى إلا قطرات الدم تتقاطر من أطراف السيوف، فلا كلمة وقتئذ تعلو كلمة السيوف فبها الغلبة والنصر، ومن أراد الجنة فعليه بالجهاد والشهادة، وأداة القتال تكون السيف أو شابهه.

✓ **(ما هو كالقلم المشبّه بقوم عُرُوا عن لبوسهم، ثم نكسوا كما قال الله تعالى على رؤوسهم)** الديوان، ص52.

شاهد قرآني من قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴿٦٥﴾**﴾ [الأنبياء: 65] حيث يستهزئ السيف بالقلم، واصفا إياه بأنه يمشي منكّس الرأس إذ الأصل أن الرأس يكون للأعلى لا للأسفل، وبما أن القلم حين يُستعمل في وظيفته فإنّ رأسه يكون للأسفل، فقد اغتنم السيف هذه الفرصة ليقدح فيه وينتقص من قيمته، مُنَزِّها نفسه عن هذه الميزة وبالتالي فهو يعلن شموخه وعلوّ هامته.

(فكأن السيف خلق ماء دافق) ص 52. شاهد قرآني من سورة الطارق ﴿**خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴿٦﴾**﴾ (الآية 6)، فالسيف يشبّه نفسه بالإنسان متعاليا بذلك عن القلم، وكأنّه هو السيّد وهو الآمر الناهي، و لكن السياق الذي وردت فيه الآية يشي إلى أن خلق الإنسان من الأمور العجيبة التي ينبغي التأمل فيها و دراستها و تتبع مراحلها.

فالشاهد القرآني في هذه المناظرة إجمالا، يعتبر بمثابة حجة تسند أقوال كل طرف على نظيره، سواءً أكان القلم أو السيف لأن هذا الشاهد يعدّ من أقوى الحجج التي يوردها الطرفان للافتخار بنفسه، فأيّ رفعة وأي منزلة تضاهي تلك التي يُذكر صاحبها في القرآن الكريم أو يشار إليه فيه. وهي في نفس الوقت تستعمل للقدح في الخصم بكل وصف سلبي ورد في القرآن الكريم حيث يلحقه بهذا النظير، وما ذلك إلا ليرفع كلّ منهما من منزلته ومكانته.

والاستشهاد بالقرآن الكريم يعتبر فرصة لتوضيح تلك الأفكار المُدافَع عنها حيث يجعل المتلقي يذعن ويسلّم بما يقوله المتكلم نظرا للخلفية الدينية المشتركة بينهما، ولاعتقاده بقُدُسِيَتِهِ ونزاهته.

❖ **الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.**

عندما نقول القرآن الكريم، فمباشرة يتبادر إلى الذهن استئنافه بالحديث النبوي الشريف، فهما ثنائية من أقوى الثنائيات.

ومثلما كان للاستشهاد بالقرآن الكريم حظّه الوافر وسمته البارزة في المناظرة، فكذلك الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف كان له حضوره حتى ولو لم يكن بنفس وتيرة وكثرة الاقتباسات القرآنية، ونمثّل لذلك بما يلي:

فقال القلم: (والصلاة على القائل:" جفّت الأقلام")(الديوان، ص51)

و هو مقتبس من الحديث النبوي الشريف: **(يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)**[1].

وهو هنا يكنّي بجفاف الأقلام عن الفراغ من كتابة الأقدار، ولا أحد ينفع أو يضر غيره.

قال السيف (...الجنة تحت ظلاله) (الديوان، ص 51)، مأخوذ من الحديث التالي :

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال (

1- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، طبعة جديدة، رقم الحديث:2516، الرياض، السعودية، ص: 667.

يـا أيهـا النـاس، لا تتمنـوا لقـاء العـدو، واسـألوا الله العافيـة، فـإذا لقيتمـوهم فاصـبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)[1].

حيث يفتخر السيف بنفسه، وأي فخر يضاهي أن تكون الجنة تحت ظلاله، فهو بهذا يقدم أقوى حجة تثبت (حسبه) رفعة مكانة وقدر منزلته.

قال القلم (.. يا ذا الوجهين)(الديوان، ص53) نجدها في الحديث القائل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:"**تجدون النـاس معادن، خيارهم فـي الجاهليـة خيـارهم فـي الإسـلام إذا فقهوا، و تجدون خير النـاس فـي هذا الشأن، أشدّهم له كراهية، قبل أن يقع فيه، وتجدون شر النـاس يوم القيامـة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه و يأتي هؤلاء بوجه**".[2]

وفي هذا تهكم وتحقير من القلم للسيف وذلك بوصفه بصفة ذميمة، وهي النفاق ونعته بأقبح الصفات والنعوت، فمن كان في يده يكون لصالحه، فإن هو وقع في يد عدوه انقلب على صاحبه.

وفي كل ذلك مقصد ومرمى من كل طرف للتأثير في خصمه و محاولة إقناعه بأنّه الأفضل و الأخير، وأنّ خصمه هو الأضعف والأدنى منزلة، وهذا ما يضفي على الخطاب (المناظرة) قوة وبلاغة حجاجية .لأنّ أطرافها يتراشقون الحجج أيهّم أفضل.

❖ **الشواهد الشعرية:**

كانت حاضرة في مناظرة ابن الوردي، وهي تعمل مثلما تعمل الشواهد الدينية، يأتي بها الكاتب للاستشهاد والاستئناس، وذلك حتى تزيد من قوته الكلامية وتسندها، وحتى

1. سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني و مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنش و التوزيع، ط: 02 / 1417هـ ، 1996م، الرياض، السعودية، باب: في كراهية تمني لقاء العدو، رقم الحديث: 2631، ص: 462.

2محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير و زيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، ط: 03 / 1408هـ-1988م، بيروت، لبنان، رقم الحديث: 2916، ج: 01، ص:562.

يقنع المتلقي بصدق دعواه، وكلما كانت هذه الحجج (الشواهد الشعرية) قوية ومشهورة كلما كان النفاذ إلى ذهن المتلقي واستمالته بها أسهل وأمكن، ونمثل لذلك بما يلي :

قال السيف :(... والصلاة على نبيه محمد، الذي نفّذ بالسيف سطور الطروس، وأخدمه الأقلام ماشية على الرؤوس) .(الديوان ص52)

وكأننا به يتناص مع المتنبي في قصيدة بعنوان (**المجد للسيف لا للقلم**) يقول:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

أكتب بنا أبدا بعد الكتاب به فإنّما نحن للأسياف خدم [1]

ولعلّ المراد من هذا القول أنّ القلم يخط ويكتب ما ينجزه السيف من نزالات ومغامرات وانتصارات، فَتُؤَرَخُ وتحفظ للتاريخ والأجيال، وهذه هي الخدمة التي يؤديها له، وهي في الحقيقة خدمة كبيرة وجليلة يقوم بها القلم، حتى وإن أراد السيف أن يفتخر بنفسه ويجعل القلم تابعا له وهو المتبوع .لأنّ بالقلم تُخلّد ذكرى السيف.

كما نجد أيضا :

قال السيف :(... فإنّ السيف عظيم الدولة، شديد الصولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب ، كيف لا وفي حده الحدّ بين الجدّ واللّعب)(الديوان ص52)

نجد في هذا إشارة إلى قول أبي تمام:

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ و اللّعب[2]

هذا البيت من قصيدة قيلت بمناسبة فتح عمورية، أيام الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أين استغاثت به امرأة مسلمة اعتدى عليها رومي من عمورية، فاستغاثت بالمعتصم بعبارتها المشهورة (وا معتصماه)، فأقسم على نجدتها وغزا بلاد الروم، فكان

1. ديوان المتنبي: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ / 1983م، ص: 497.

2. ديوان أبي تمام الطائي، تح: محي الدين خياط، محمد جمال، نظارة المعارف العمومية الجليلة، باب المديح، حرف الباء، ص:7.

النصر والنصرة والفتح، رغم أن المنجمين كانوا قد نصحوه أن يتمهل وينتظر حتى يحلّ فصل الصيف، لكنه لم يستمع لهم، فغزاها وانتصر للمرأة، فأنشد أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قصيدته (حول فتح عمورية) بهذه المناسبة مشيدا بالعقل والحزم والعزم ضد الخزعبلات والتطير وادعاء علم الغيب، وبما السيف هي وسيلة الحرب المساعدة على النصر فقد كانت الإشادة به، وهذا سياق تاريخي مهم.

ولعلّ الإتيان يشاهد مهم كهذا يزيد من قوة الأقوال ويشدّ المتلقي إليه وبالتالي يحصل الإذعان والإقناع، لكن دون إهمال البعد التاريخي له.

نخلص إلى أن الشاهد الشعري يحمل طاقة إبلاغية إقناعية عالية.

قال السيف:(**إذا قست بياض صحيفتي سواد صحيفتك**) (الديوان ص53)، نجد لها مقابلاً في قصيدة أبي تمام في نفس موضوع فتح عمورية.

يقول أبو تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنّ جلاء الشك والريب.[1]

وفي بيض الصفائح كناية عن السيوف في بياضها ولمعانها، والتي بها ظهرت الحقيقة وأُزيل الشكّ وكان الفتح والنصر، بينما كنّى بالصحف السود عن كتب المنجمين التي تنشر الخرافات والأباطيل، وفي نعته هذا بالسواد له علاقة بالقلم، لأنّها ما اسودّت إلا لأنها خطت بالقلم، أي أنه دخل على بياض فسوده وشوهه.

والنتيجة التي أراد الوصول إليها أن الأفضلية في كشف الشكوك والظنون لا ولم تكن إلا بالسيف، وقد خدمها بحجته: بياض الصفائح(السيوف) لا سواد الصفائح (الكتب وفي هذا المقام يريد القلم)، وبالتالي فهذا البيت الشعري كان له أثر كبير في الاحتجاج حيث كلما كانت حجج المتكلم قوية وذات وزن ومعنى، كان التأثير بها على المتلقي أبلغ

1. ديوان أبي تمام الطائي، تح: محي الدين خياط، محمد جمال، نظارة المعارف العمومية الجليلة، باب المديح، حرف الباء، ص 7.

و أكبر دن التغاضي عمّا تحمله من قيمة جمالية ، فهي عملة ذات وجهين جماليا وحجاجيا.

2 . الاستفهام:

قد يكون الاستفهام مباشرا، و قد يكون غير مباشر، و يعتبر مؤشر توجيهي حيث **(يعدّ استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليه، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون).**[1]

فالاستفهام يضيق من عدد الاحتمالات والفرص التي يملكها المتلقي في الإجابة على ما يطرح عليه، وبالتالي فإنه يكون تحت سلطة المرسل الذي يتحكم في زمام الخطاب، ويفرض عليه طريقة محددة للإجابة والتي قد لا تخدم المتلقي، ولكن لا مجال له للعدول عنها.

وبالتّالي فإن الهدف من استعمال أسلوب الاستفهام من قبل المتكلم إنما هو لتسييج المتلقي بغية إقناعه واستمالة رأيه و**(ليس غريبا أن يحظى السؤال باشتغال مركزي داخل المناظرة ويبسط شبكته على كل أطوارها، فدون سؤال نكون خارج النقاش).**[2]

فالاستفهام من أقطاب رحى المناظرة لأنه يمنحها نوع من الحيوية والحركية، لكن ما يشد الانتباه أن نصادف أحيانا استفهامات لكنّها لا تروم بالضرورة الإجابة عنها، مثلما هو المفهوم من الاستفهام لأنه **(حسب دلالته الحقيقية أي في ارتباطه بمقتضى الظاهر وفق تعبير البلاغيين العرب القدامى، هو طلب المتكلم معرفة أمرا مجهول لديه (...) إلا**

1. عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 352.

2. عادل عبد اللطيف: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 207.

أنّ الاستفهامات المستعملة في المناظرة لا ترتبط بهذه الغايات بل يحملها المتحاوران أهدافا اقناعية)[1] .

وقد وظّف ابن الوردي الاستفهام في مناظرته بين السيف والقلم، فجاء على لسان القلم قوله :**(وما يشبه القلم في طاعة ناسه ؟ ومشيه لهم على أم رأسه ؟) (** الديوان ص 52**)** وأيضا :**(أين تقليدك من اجتهادي؟ وأين نجاسة دمك من تطهير مدادي؟) (** الديوان ص53**)** والظاهر أن السؤال هنا لا يُنتظر إجابة عنه، بل هو تعظيم لشأن القلم ورفع لقدره وبالمقابل ازدراء منه بالسيف وتحقير له، ومنه قوله أيضا :**(كم أفنيت وأعدمت ؟ وأرملت وأيتمت ؟) (**الديوان ص53**)**، وكأنه يعدد سلبياته ويتهمه بكل شر وسوء، فكل المساوئ ذكرها وجعلها حجة عليه ودليلا على أذاه. وفي المقابل وعلى لسان السيف جاء قوله: **(ألست ضامرا وأنت بطين؟)(** الديوان، ص53**)**، وقوله: **(أمكرا ودعوى عفة ؟) (**الديوان، ص54**)**، فأسلوب الاستفهام في هذه العبارات غرضه التحقير والاستنكار، وهو ردّ من السيف على القلم إذ كل طرف يقر بأفضليته على غيره ويسعى في ذلك لإقناع خصمه ما استطاع من حجج وأدلة.

فالاستفهام **(من بين أبرز الأساليب الإنشائية البلاغية التي تلعب دورا كبيرا في عملية الحوار والإقناع، والاستفهام في المناظرة لا يرتبط بدلالته الحقيقية إلا فيما ندر، بل يؤدي أغراضا أخرى تعكس الطاقات الحجاجية التي ينطوي عليها)**[2].

4 . التكرار:

التكرار التكرير أو المعاودة. هو أسلوب من الأساليب اللغوية التي تعتمد كثيرا في الخطابات، فتكرار الفكرة أو اللفظ يكون لا محالة لغاية يقصدها منشئ الخطاب، حيث يعدّ التّكرار **(من أهمّ التقنيات اللّغوية في عملية الحجاج، فمن طرائق عرض الخطاب**

1. عادل عبد اللطيف: بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 208.

2. نفسه، ص 215.

عرضا حجاجيا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود وإيصالها والتأثير بها).[1]

فالتكرار كآلية لغوية يعتمد في عرض القضايا والمواضيع له دور حجاجي هام يتجلى في التأكيد والتركيز على الأفكار التي يكون المرسل بصدد تبليغها واعتمادها كحجة تخدم غايته وهدفه المتمثل أساسا في الإقناع والتأثير في المتلقي.

(وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه).[2]

فإذا كان التكرار المفيد يحدث أثرا حسنا في المتلقي، حيث يقوده إلى الإذعان والإقناع، فإنه وعلى العكس من ذلك بوجد من التكرار مالا يفيد لأنه ينفر المخاطب ويشعره بالملل والرتابة.

ومن هذا المنطلق (**فإنّ الدراسات الدائرة حول الحجاج وأفانينه تُجمع أو تكاد على أهمية الدور الحجاجي الذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة، وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها).**[3]

فالتكرار يخدم كلا من المتكلم من خلال تأكيد فكرته والتركيز عليها، وكذا المتلقي وذلك بإقناعه وحمله على التسليم بما يعرض عليه.

وقد كان التكرار حاضرا بقوة في مناظرة السيف والقلم لابن الوردي وكان لفظيا و معنويا أيضا.

فأما اللّفظي منه، فقد تعلق بالخصوص بكلمتي (**السيف والقلم**) وقد ذكرتا معا حوالي (56 مرة)، وهذا بحكم أنهما طرفا المناظرة وركيزتها ولأن المناظرة تقتضي أخذا

1. عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 35.

2. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج02، باب التكرار، ص73-74.

3. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص 168.

وردا بينهما، فتارة يتحدث القلم ويدلي بحججه وأدلته وتارة أخرى يتحدث السيف، فنجد كثيرا (قال القلم ، قال السيف) ونجد أيضا تكرار أدوات الربط عموما، كحروف الجر، العطف وعلى وجه الخصوص (الواو) الذي كان له حصة الأسد من الحضور، وذلك لأنه يربط بين الحجج الكثيرة لكل طرف في القضية، فكلما كثرت الحجج زادت من تقوية الادعاء وبالتالي تزداد معها فرصة التأثير في الآخر وإقناعه .

والسبب في تكرار هذه الحروف المتنوعة (حروف العطف وحروف الجر ...)هو لإحداث اتساق بين الجمل والعبارات وبالتالي تحقيق الترابط بين الألفاظ، وهذا ما يساهم بطريقة أو بأخرى في تقوية الحجج ودعم الحجاج من خلال إبراز فكرة كل من القلم والسيف.

إضافة إلى التكرار المعنوي والذي يتمثل في تكرار بعض الأفكار بمعانيها لا بألفاظها، ويلجأ إليه الكاتب لتجنب التكرار اللفظي والإطناب فيه، وأيضا لتحقيق الانسجام المعنوي بين الحجج والنتائج، و تجسّد ذلك عند ابن الوردي في توظيف الجمل التي تحمل نفس الدلالات ك(أنت آلة الردى، باتر الأعمار، كم أفنيت وأعدمت، وأرملت وأيتمت) فهي وإن كانت بألفاظ مختلفة إلاّ إنّها تخدم معنى واحدا وهو الموت.

لنخلص في الأخير إلى أنّ التكرار يعتبر كحجة من الحجج التي يهدف من خلالها المتكلم أساسا إلى نتيجة هامة تتمثّل في التأكيد والتوكيد، وإبراز القيمة والأهمية، وبالتالي الوصول إلى المتلقي لإقناعه وكسب اهتمامه، وهنا نتحدث عن قيمة ومكانة وأهمية كل من القلم والسيف.

5 . حجاج القسم :

هناك الكثير من المؤكدات القوية التي يلجأ إليها المخاطب لإثبات صحة ما يدّعيه، ومن هذا المنطلق فإنّ **(من أكثر الموجّهات اليقينية توجيها للإثبات: القسم، فهو إذ يثبت القضية ويوجبها، يقيم في الوقت نفسه الحجة على المخاطب ويلزمه بها).**[1]

ولعلّ مرد ذلك إلى ارتباطه بالخلفية والمرجعية الدينية لكلا الطرفين، فهو يثبت ويقيم الحجة على المخاطب ويلزمه بها، وما ذلك إلاّ لقوته ومكانته، وأكبر دليل على ذلك ذكره في القرآن الكريم، فالله لا يقسم إلاّ بعظيم ولا يعظّم إلاّ كل عظيم .

قال السيوطي نقلا عن أبو القاسم القشيري قوله :**(إنّ الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحَكَم يفصل باثنين: إماّ بالشهادة وإماّ بالقسم).**[2] إذ الغالب أنّ القسم لا يُردّ، وبالخصوص إذا كان المقسم به عظيما، فيعتبر إذ ذاك حجة مؤكدة وبيّنة كاملة.

(فالقَسَم مدعاة للتصديق وبالتالي للإقناع، فيحصل للمخاطب ما أراده وسعى إليه وهو التأثير في المتلقي وإقناعه، ويمكن أن نُقسِّم المقسم به والمقسم عليه من الناحية الحجاجية إلى قسمين اثنين ، فنعتبر المقسم به الحجة، والمقسم عليه الدعوى . لكن ما كل مقسم به يكون حجة على الدعوى في اعتبار المخاطب الذي جيء من أجله بالقسم).[3]

صحيح أنّ القسم يضطر المخاطَب في كثير من الأحيان إلى التصديق والاستجابة، وبالتالي التأثير والإقناع فيه كما أراد المخاطِب، لكن ليس بالضرورة أن يكون كل قسم حجة على صحة ما يطرح على المخاطب.

---

1. عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم ،ص 320

2. أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن تحقيق مركز الدراسات القرآنية،،ج01، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، ص1945.

3. عبد الله صولة: مرجع سابق، ص 320.

ونستدل على ذلك من مناظرة ابن الوردي بما يلي :

-قال القلم :(أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والتوراة والإنجيل والقرآن ذي التبجيل، إن لم تكف عن غربك ، وتبعد مني قربك لأكتبنك من الصمّ البكم، وأسطرنّ عليك بعلمي سجلا بهذا الحكم)(الديوان ص54). فقد أقسم القلم وما أقسم إلا بكل عظيم، بدءا بالكتاب المسطور والغالب أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب فيه الله تعالى أقدار كل شيء، ولا ريب أنه سُطِّر وكُتِب بالقلم، فهو أداة الكتابة، والبيت المعمور والذي قد يراد به بيت الله الحرام، يعمره الحجاج والمصلون، وكذا التوراة والإنجيل فهي كتب سماوية مقدسة، وكل كتاب لابد أن يماشيه القلم، وأَعظم به ذكرا وتبجيلا القرآن الكريم، فكل ما ورد في هذا القسم يشد إليه الخصم ويدخله في دوّامة من الأفكار أَيُقْدِمُ أم يُحْجِمْ، خاصة وأن القسم يستدعي في غالب الأحيان التصديق، فهو ليس مزاحا ولا لهوا.

وقد استُعمل هنا لتقوية الحجة والتأكيد على صحة الادعاء وصدقه.

وقد كان الرد على هذا القسم بقسم آخر من قبل السيف، ينافح فيه القلم ويتحدّاه إذ لم يشأ أيٌّ منهم أن يستسلم أو يتنازل.

قال السيف:**(أما ومتني المتين، وفتحي المبين، ولساني الرطبين إن لم تغب عن بياضي بسوادك لأسخمّن وجهك بمدادك)**. (الديوان، ص54)

وكأن السيف قد اشتد غضبه لما بدر من القلم في حقه، فقد هدده وأغلظ في الوعيد، فردّ عليه بالتهديد تهديدا، وبالوعيد وعيدا، لكنّه أشد نوعا ما لأنه هدّده بأنه سوف يسوّد وجهه بمداده نفسه، فكأنّه يضربه بيده (أي السيف يضرب القلم بيد القلم).

6 . حجاج الواقع :

اعتمد ابن الوردي في مناظرته على الحجة الواقعية، وذلك للاستدلال على صحة دعواه من جهة، وكذا استمالة المتلقي وإقناعه من جهة أخرى.

وقد وردت هذه الحجج المستمدة من الواقع بوتيرة مقبولة، فقد استعان كل طرف في المناظرة بما له من مزايا ملموسة على أرض الواقع لتدعيم موقفه وتبرير أقواله، ومثال

ذلك ما ورد في الافتتاح:(**لما كان السيف والقلم عدتي العمل والقول**)(الديوان ص51) ، هذا أكيد فإن السيف يستعمل للعمل وانجاز المهام المتعلقة بالحروب والقتال، بينما القلم يستعمل في الكتابة والتدوين.

(وعمدتي الدول)(الديوان ص51)، إذ لا تقوم للدولة قائمة إن لم تُعْن اهتماما بجانب الأمن والذي يتحقق بالسيف (كان في فترة سابقة هو أداة الحرب وكذا العِلم المرتبط بالأساس بالقلم فهو أداته وهو وسيلته **(وركني إسناد الملك**)(الديوان ص51) إذ لم يكن حاكم ولا ملك يُرى وهو مجرّد من سيفه أو متخلّ عن كاتبه وقلمه.

واستعمل ابن الوردي صيغة الماضي لأنّ المقام الذي ألّف فيه مناظرته استدعى ذلك، حيث كان السلاح المستعمل في الحروب والغزوات هو السيف عكس ما نراه اليوم من أجهزة متطورة بل فائقة التطور، بينما كانت القلم وما خطّ من رسائل هو وسيلة التواصل والاستعلام .

ونجد في قول السيف : (..**لا يعبث به الحامل، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل**)(الديوان ص 52) ، والواقع يصدّق ذلك، فليس من هبّ ودبّ يحمل السيف بيده ، وليس لحامله أن يعبث به وذلك لخطورته والأذى الذي قد يلحقه بمن حوله إن هو أساء استعماله أو عبث به.

كما أنّ من يحمل السيف يُحكم قبضته بيده وقد يسنده بالأخرى أحيانا، عكس القلم الذي تقتضي الضرورة أن يمسك بأطراف الأصابع.

وفي ردّ القلم :(**يفاخر وهو القائم عن الشمال وأنا الجالس عن اليمين**)(الديوان ص52)، ذلك أن أغلب ما يكون السيف وهو معلّق على الخصور ويكون في الجانب الأيسر بينما السواد الأعمّ من مستعملي الأقلام نجدهم من أصحاب اليمين دون أن نستثني فئة تستعمل اليد اليسرى للكتابة، إضافة إلى الخلفية الدينية في فضل التيمّن. فالحجاج بالواقع يعتبر كمثال حي مشهود عليه في أرض الواقع، وهو يؤدي بالمتلقي إلى

التسليم ، لذا يتنفس كل خصم على استحضار شواهد واقعية يحتج بها على خصمه، لأنها تكون أقوى وأقرب إلى الواقع .

من خلال تتبعنا لجملة من التقنيات الحجاجية المبثوثة في ثنايا المناظرة، وتحليلنا لبعض النماذج، خلُصنا إلى نتيجة هامة مفادها أنّ البلاغة لا تكمن في شقّها البياني الجمالي فقط، بل هي عملة لوجهين، تنطوي على حمولات بلاغية مشحونة بوظائف حجاجية، لها أثر قوي في المتلقي، فهي توجهه وتؤثر فيه.

ذلك أنّ اللّغة العادية قد تعجز أو تضعف في أحايين كثيرة على تبليغ المقصود بالصورة المطلوبة أو بالسهولة التي يبتغيها المتكلم في توجيه خطابه لإقناع المتلقي، فيُعمد إلى اللّغة المجازية التي تعتبر انزياحاً وعدولاً عن الحقيقة، للاعتقاد بأنّها أقوى منها في التأثير والتبليغ والاستمالة.

و من هنا يحصل الإمتاع و يتحقق الإقناع.

الخاتمة

الخـاتـمـة.

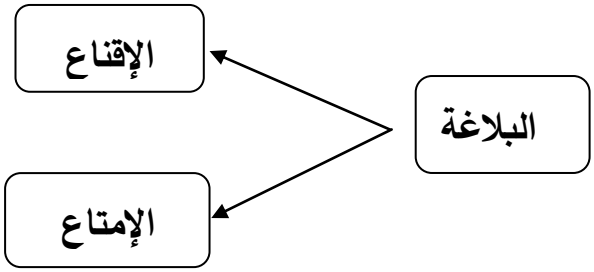
في ختام بحثنا هذا والموسوم ب(**تقنيات حجاجية في المناظرة: السيف والقلم لابن الوردي أنموذجا**)، خلصنا إلى جملة من النتائج نوردها كما يلي:

- الحجاج مبحث بلاغي إطاره العام تداولي، وهو قديم ظهر في البداية مع فلاسفة اليونان، حتى ولو لم يكن بهذا المصطلح، وإنّما كان تحت مسمّى الخطابة / البلاغة.
- الدرس الحجاجي كانت له جذور أصيلة في التراث العربي مع الجاحظ وابن وهب مثلاً.
- يعتمد الحجاج على تقديم الحجج المؤدية إلى التأثير في المتلقي بهدف إقناعه وإذعانه.
- يتعالق مصطلح الحجاج مع مصطلحات عديدة ك (البرهنة، الحجة، الدليل)، قد تظهر للوهلة الأولى أنّها مترادفات، لكنّ التمعّن فيها والبحث حولها يحيل إلى ما بينها من فروق جوهرية.
- تناولت الدراسات الحديثة الحجاج من زاويتين مهمتين كانتا ركيزة البلاغة الجديدة، هما: زاوية الحجاج البلاغي مع بيرلمان وتيتيكا، وزاوية الحجاج اللّغوي(اللّساني) مع ديكرو و أونسكومبر.
- الحجاج يقوم على المفاعلة بين عنصري المتكلم والمتلقي، والقصد منه التأثير في المتلقي بمختلف الآليات والتقنيات، بلاغية كانت أم لغوية.
- المناظرة كفنّ قائم على الحوار والمفاعلة يعتبر نموذج جيّد لتوافر الحجاج فيه، ومجالاً خصباً للدراسة التطبيقية.
- لا بدّ للمناظرة من شروط و أخلاقيات يجب على أطرافها/ عناصرها الالتزام بها، على أن لا تحيد عن جانبها الأخلاقي.
- المناظرة كما الحجاج، تتواشج مع عدد من المصطلحات كالجدل والحوار.

- في المدوّنة التي عملنا عليها لاحظنا عنصر الاستشهاد بالقرآن الكريم جلي بصورة لافتة للانتباه.
- حضور عنصر المجاز في المناظرة من استعارة وتشبيه وكناية. دون إغفال جانب المحسنات البديعية من مقابلة و طباق و سجع.

ولعلّ مردّ ذلك إلى أنّ مدونتنا من المناظرات الخيالية التي يحاول فيها الأديب إظهار براعته الأدبية و مهارته الفنية.

لنخلص إلى أنّ كل هذه التقنيات و أخرى لم نتطرق لها، تعتبر حججاً يلجأ إليها المتكلم لخدمة النتيجة التي يودّ الوصول إليها، وكلّ ذلك من أجل التأثير في المتلقي ومحاولة إقناعه واستمالته. فهي بالتالي تحمل بعداً حجاجياً يتماهى وراء جانبها الجمالي.



الملاحق

مناظرة السيف و القلم لابن الوردي

لمَّا كان السَّيفُ والقلمُ عُدَّتي العمل وَالقَوْل، وَعُمْدتي الدُّوَل، فإنْ عَدِمَتهما دولَةٌ فلا حَوْلَ، وَرُكْني إسنادِ المُلْك الُمعربَيْنِ عن المخفوضِ والمرفوع، وَمُقَدِّمَتَي نتيجة الجدلِ الصادر عنهما المحمولُ والموضوع فكَّرْتُ أيهما أعظمُ فخراً وأعلى قدراً فجلستُ لهما مجلسَ الحُكْمِ والفتوى، ومثلتُهما في الفكرِ حَاضِرَيْنِ للدعوى، وسوّيت بين الخصمينِ في الإكْرَامِ، واستنطقتُ لسانَ حالِهمَا للكلام.

فقال القلم :بسم الله مجريها ومُرْساها، والنهار إذا جَلاّها والليل إذا يغشاها، أما بعد حمد الله خالق القلم، ومشرفة بالقسَم، وجاعله أول ما خلق، جَمّل الورق بغصنه كما جَمّل الغصن الورق. والصلاة على القائل: "جفت الأقلامُ"، فإن للقلم قصَبُ السباق، والكاتِبُ بسبعة أقلام من طبقات الكتاب في السبع الطباق، جَرَى بالقضاء والقدر، ونَابَ عن اللِّسان فيما نهى وأَمَرَ، وطالما أربى عَلَى البِيض والسُّمْر في ضرابها وطعانها، وقاتل في البعد والصوارم في القُرْبِ ملء أجفانها، وماذا يُشْبِهُ القلم في طاعة ناسه ؟ ومشيه لهم على أمِّ راسه ؟

قال السيف :بسم الله الخافض الرافع، وأنزلْنَا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافع، أما بعد حمد الله الذي أنزل آيةَ السيفِ فعظَّمَ بها حرمة الَجْرح وآمن خيفةَ الخيف، والصلاة على الذي نفذَّ بالسيف سطور الطروس، وخدمته الأقلام ماشية على الرءوس، وعلى آله وصحبه الذين أُرْهِفَتْ سيوفهم، وبُنِيَتْ بها على كسر الأعداء حروفهم، فإن السيف عظيم الدولة شديد الصّولة، محا أسطار البلاغة، وأساغ ممنوع الإساغة، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب، وكيف لا وفي حَدِّه اَلْحدُّ بين الجدِّ واللِعبِ ؟!

فإن كان القلم شاهداً، فالسيف قاض، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعَهُ السيف بفعل ماض، به ظهرَ الدينُ، وهو العُدّة لقمع المعتدين، حَمَلَتْهُ دون القلم يد نبيِّناَ،

فَشَرُف بذلك في الأمم شرفاً بيّناً، الجنة تحت ظِلاله، ولا سيما حين يُسَلُّ فترى وَدْقَ الدم يخرج من خلاله، زُينت بزينة الكواكب سماء غِمدة، وصدَقَ من قال "السيف أصّدَقُ أنْباءٍ من ضده " لا يعبثُ به الحاملُ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل، ما هو كالقلم المُشَبَّه بقوم عرُوًّا عن لبوسهم، ثم نُكسوا كما قيل على رُءُوسهم، فكأن السيف خُلِق من ماءٍ دافق، أو كوكب راشق مقدراً في السّرْد، فهو الجوهر الفَرْد، لا يُشترى كالقلم بثمن بخس، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس، كم لقائمه المنتظر، من أثرٍ في عينٍ أو عينٍ في أثر، فهو في جراب القوم قَوامُ الحرب، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب.

فقال القلم :أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مُبينٍ، يُفاخرُ وهو القائمُ عن الشِمال، وأنا الجالس على اليمين؟! أنا المخصوصُ بالرأي وأنت المخصوص بالصَّدَى، أنا آلة الحياة وأنت آلة الردى، ما لِنْتُ إلا بعد دخول السعير، وما حُدّدت إلا عن ذنبٍ كبير، أنت تنفع في العمر ساعة، وأنا أُفني العُمْرَ في الطاعة، أنت للرَّهَب، وأنا للرَّغَب، وإذا كان بَصَرُك حديداً فبصري ماءُ ذهب، أين تقليدُكَ من اجتهادي، وأين نجاسة دمك من تطهير مِدادي ؟

قال السيف : أمثلك يُعَيِّرُ مثلي بالدماء؟! فطالما أمرتُ بعض فراخي . وهي السكين . فأصبحت من النفاثات في العقد يا مسكين، فأخلَتْ من الحياة جُثمانك، وشقّت أنفك وقطعت لسانك.

ويلك ! إن كنت للديوان فحاسِبٌ مهموم، أو للإنشاء فخادمٌ لمخدوم، أو للتبليغ فساحر مذموم، أو للفقيه فناقص في المعلوم، أو للشاعر فسائل محروم، أو للشاهد فخائف مسموم، أو للمعلم فللحيّ القيُّوم أمَّا أنا فلي الوجه الأزهر والحلية والجوهر والهيبة إذ أُشْهَر، والصعود على المنبر. ثم إني مملوك كمالك، فإنك كناسك، أسلك الطريق واقطع العلائق.

فقال القلم :أما أنا فأبن ماءِ السماءِ ، وأليف الغدير وحليف الهواء، أما أنت فابن النار والدخان وناثرُ الأعمار وخَوَّان الإخوان تفصل ما لا يُفصل وتقطعُ ما أمر الله به أن

يُوصَل، لا جرم أن صَعَّرَ السيف خده وصقل قفاه ، وسُقي ماءً حميماً فَقَطّع مِعَاه، يا غُرَاب البين ، ويا عُدَّة الحْينِ، ويا مُعْتَلّ العين، ويا ذا الوجهين، كم أفنيت وأعدمت ؟ وأرملْتَ وأيْتَمْتُ ؟.

قال السيف :يا ابن الطين ! ألست ضامراً وأنت بطين ؟! كم جَرَيت بعكس وتصرَّفت في مكس وزَوَّرْت وَّحرفت، و نكّرت وعرّفت، وسَطّرت هجواً وشتماً ، وخلّدت عاراً وذمًّا، أبشر بفرط رَوْعتك، وشدة خِيفتك، إذا قِسْتَ بياض صحيفتي بسواد صحيفتك، فألِنْ خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حِدّه، وأقل من غلظتك، وجبهك، واشتغل عن دم في وجهي بقبيح في وجهك، وإلا فأدنى ضربةٍ مني تروم أرومتك، فتستأصلكَ وتجتثُّ جرثومتَك، فسقياً لمن غاب لك عن غابك، ورعياً لمن لو أهاب بك لسلخ إهابك.

فلما رأى القلمُ السيفَ قد احتد، ألان له من خطابهِ ما اشتد وقال :أما الأدب فيؤخذ عنِّي، وأما اللطف فيُكتسب منِّي، فإن لِنْتَ لنتُ، وإن أحسنتَ أحسنتُ، نحن أهل السمعِ والطاعةِ، ولهذا نجمعُ في الدواةِ الواحدةِ منَّا جماعة، وأما أنتم فأهلُ الحدةِ والخلافِ، ولهذا لا يجمعون بين سيفين في غلاف.

قال السيف :أمَكْراً ودعوى عِفّة ؟ لأمرٍ ما جدع قصير أنفه ! لو كنتَ كما زعمتَ ذا أدبٍ، لما قابلتَ رأسَ الكاتبِ بعُقدةِ الذنَبِ، أنا ذو الصّيت والصوتِ، وغِراري لسانَ مشرَفي يرتجل غرائب الموت، أنا مِن مارجٍ مِن نارٍ، والقلم من صلصالٍ كالفخارِ، وإذا زعم القلمُ أنه مثلي، أمرتُ مَنْ يدقُ رأْسه بنعلي.

فقال القلم :صَهْ فصاحبُ السيفِ بلا سعادةٍ، كأعزل.

قال السيف :مهْ فقلمُ البليغِ بغير حظٍ مغزل.

فقال القلم :أنا أزكى وأطهر.

قال السيف :أنا أبهى وأبهر.

فتلا ذو القلم لقلمه : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر:1).

وتلا صاحب السيف لسيفه : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر:25).

فتلا ذو القلم لقلمه : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) (الكوثر:3) .

قال :أما وكتابي المسطور، وبيتي المعمور، والتوراة والإنجيل، والقُرآن ذو التبجيل، إن لم تكف عنِّي غرْبك، وتُبعد مني قُرْبك، لأكتبنكْ من الصُّمِّ والبُكم، وَلأُسطرنّ عليك بِقلمي سجلاً بهذا الحكم.

قال السيف :أما ومَتْني المتين، وفتحي الْمُبين، ولسانَيّ الرطبين، ووجهَيّ الصُلبين، إنْ لم تُغِبْ عن بياضي بسوادك، لأمسَنَّ وجهك بمدادك، ولقد كسبت من الأسد في الغابة، توقيع العين والصلابة، مع أني ما ألوتُكَ نصحاً أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ؟.

قال القلم :سَلِّم إن كنتَ أعلى فأنا أعلم ، وإن كنتَ أحلى فأنا أحلم، وإن كنت أقوى فأنا أقوم ، أو كنت ألوىَ فأنا ألوم ، أو كنت أطرى فأنا أطربُ، أو كنت أغلى فأنا أغلب، أو كنت أعتى فأنا أعتبُ، أو كنت أقضى فأنا أقضب.

قال السيف :كيف لا أفْضُلك، والمقرُّ الفلانيُّ شادٌّ أزري.

قال القلم :كيف لا أفْضُلك وهو (عزَّ نصرهُ) ولي أمري ؟

قال الحَكمُ بين السيفِ والقلمِ: فلما رأيتُ الحجَّتيْن ناهضتين، والبيِّنتيْن بينتيْن مُتعارضتين، وعلمتُ أنَّ لكلِّ واحدٍ منها نسبةً صحيحةً، إلى هذا المقرَّ الكريم، ورواية مُسْندة عن حديثه القديم، لطَّفتُ الوسيلة، ودققْتُ الحيلة حتى رددْتُ القلم إلى كنَّه، وأغمدتُ السَّيف فنام ملء جفنه، وأخّرْتُ بينهما الترجيح وسكتُّ عمّا هو عندي الصّحيح، إلى أن يحكم المقرُّ بينهما بعلمه، ويسكِّن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط حلمه.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

قائمة المصادر والمراجع

1) ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2، 1399هـ /1979م.
2) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة.
3) أبو بكر العزاوي:اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ط01، 1426هـ/2006م.
4) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1400هـ / 1980م.
5) أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب.
6) أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية،ط01،(1419هـ-1998م)، بيروت-لبنان،ج01.
7) أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط05، 2004م، القاهرة.
8) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1.
9) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط02،(1374هـ-1955م)،مصر، ج02.
10) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5،(1401هـ/ 1981م)، ج01.

11)أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب الجديدة، ط01، (1371هـ/1952م) .

12)باشا العيادي: فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية . تداولية، دار كنوز المعرفة ، ط1، 1435هـ / 2014م ، عمان.

13)جميل حمداوي : نظريات الحجاج.

14)حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب: نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.

15)ديوان أبي تمام الطائي، تح: محي الدين خياط، محمد جمال، نظارة المعارف العمومية الجليلة.

16)ديوان المتنبي: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403هـ / 1983م.

17)زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردي الشافعي : ديوان ابن الوردي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1427هـ/ 2006م.

18)سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب، ط2، الأردن، 2011.

19)صابر الحباشة :الحجاج و التداولية مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق سوريا، 2008.

20)سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني و مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنش و التوزيع، ط: 02 / 1417هـ ، 1996م، الرياض، السعودية، باب: في كراهية تمني لقاء العدو، رقم الحديث: 2631.

21)طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكور العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

22)أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن تحقيق مركز الدراسات القرآنية،،ج01، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية .

23)عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث القاهرة، ط3، ج 1، 2008.

24)عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع: دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان/الأردن.

25)عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.

26)عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1405هـ-1985م.

27)عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، قطر، 2014.

28)عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، (2013/1434)، دار الأمان، الرباط، المغرب.

29)عبد الله صولة : في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، ط1، 2011م، تونس.

30)عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته.

31)عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، ط2، 2007، بيروت لبنان.

32)عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، بيروت، لبنان.

33)عبد الهادي بن ظافر الشهري: آليات الحجاج وأدواته ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته.

34)علوي حافظ إسماعيل : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1 الحجاج: حدود و تعريفات، عالم الكتب الحديث، ط1، 1431هـ-2010م، الأردن.

35)علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

36)محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، طبعة جديدة، رقم الحديث:2516، الرياض، السعودية.

37)محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير و زيادته(الفتح الكبير) ، المكتب الإسلامي، ط: 03 / 1408هـ-1988م، بيروت، لبنان، رقم الحديث: 2916، ج: 01.

38)محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط1، 1934.

39)محمد آيت حمو: ابن حزم فارس الحجاج في الغرب الإسلامي ، ضمن كتاب : التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط ، ط1، 1427هـ / 2006م.

40)محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القرءان الكريم، ط: 04/ 1402هـ - 1981م، بيروت، لبنان، ج:01.

41)مختار الفجاري: الفكر العربي الإسلامي، دار الكتب الحديث، ط1، 2009.

42)نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، 1429/2009هـ.

43)نواف نصار: معجم المصطلحات اللغوية، عربي انجليزي، دار المعتز، ط1، عمان،2011 /1432.

المجلات والمقالات:

44)ابراهيم بن عبد الكريم السنيدي، الحوار والمناظرة في الإسلام (أحمد ديدات نموذجا في العصر الحديث)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 46 ، 1430هـ.

45)باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011.

46)جابر ابن بشير المحمدي، مناظرة السيف والقلم في ثلاث رسائل تراثية، دراسة أدبية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، المدينة المنورة.

47)محمد الأمين مصدق: الحجاج والجدل والمناظرة، أوجه التشابه والاختلاف، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 03، العدد05، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، الجزائر، 2019 .

48)محمد يطّاوي: أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير، مجلة جامعة أم القرى العلوم اللغات وآدابها، المملكة المغربية، العدد21، 1439هـ -2018م محمود.

49)حمزة محمد: تقنيات الحجاج في كتاب (حوار مع صديقي الملحد)، مجلة كلية الآداب اللغويات والثقافات المقارنة، مج 12، ع2.

50)مصطفى حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، أبحاث اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013.

فهرس الموضوعات

مقدمة: 2

الفصل الأول: 6

الحجاج والمناظرة: دراسة نظرية. 6

المبحث الأول: الحجاج: دراسة نظرية. 7

المطلب الأول: الحجاج: المفهوم والمصطلح. 7

أ . لغة: 7

ب . اصطلاحا: 13

المطلب الثاني: تبلور مصطلح الحجاج "البلاغة الجديدة": 15

المطلب الثالث: بين الحجاج، الحجة، الدليل والبرهنة: 16

المطلب الرابع: الحجاج من المنظورين الغربي والعربي 18

1/ من المنظور الغربي 18

أ / قديما : 18

01-السفسطائيون: 18

02-سقراط : (469ق.م . 399 ق.م) 19

أفلاطون (467ق.م . 347ق.م) 19

أرسطو: (384ق.م . 322ق.م) 20

ب/ حديثا :..... 20

بيرلمان / تيتيكا 20

-الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر (الحجاج في اللّغة). 21

2_الدرس الحجاجي عند العرب :..... 22
أ / قديما : 22
الجاحظ (150 . 255هـ /767 . 867 م) 22
ابن وهب الكاتب (335هـ / 947 م) :..... 25
ابن حزم الأندلسي (384هـ / 994م)..... 25
ب : حديثا :..... 26
طـه عبد الرحمن : 26
أبو بكر العزاوي:..... 27
المبحث الثاني: المناظرة: دراسة نظرية. 29
المطلب الأول: تعريف المناظرة. 29
أ . لغة: 29
ب . اصطلاحا: 29
المطلب الثاني: نشأة فنّ المناظرة:..... 31
المطلب الثالث: شروط / أركان/ أخلاقيات المناظرة 32
أ: شروطها 32
ب: أركانها 33
ج: أخلاقياتها 34
المطلب الرابع: بين المناظرة والحجاج / المناظرة والجدل /المناظرة والحوار..... 34
أ: بين المناظرة والحجاج 34

ب : بين المناظرة والجدل : 35

ج: بين المناظرة والحوار : 36

الفصل الثاني: 38

تقنيات حجاجية في المناظرة: دراسة تطبيقية..... 38

المبحث الأول: ابن الوردي ورؤية حول مناظرة السيف و القلم..... 39

تمهيد: 39

المطلب الأول : نبذة مختصرة لسيرة ابن الوردي (691. 749هـ) 40

المطلب الثاني: موضوع المناظرة وشخصياتها. 41

المطلب الثالث: غرض المناظرة..... 41

المطلب الرابع: حسن الابتداء ومسك الاختتام. 43

المبحث الثاني: تقنيات حجاجية بلاغية وأخرى في مناظرة ابن الوردي..... 45

مدخل: 45

المطلب الأول: حجاجية الصور البيانية..... 46

أ- حجاج الاستعارة: 47

ب- حجاج التمثيل(التشبيه): 49

ج- حجاج الكناية 51

المطلب الثاني: حجاج المحسّنات البديعية: 53

أ- حجاج الطباق / المطابقة: 53

ب- حجاج المقابلة: 54

ج- حجاج السجع: 56

المطلب 03:آليات حجاجية أخرى في المناظرة. 58
1/ حجاج السّلطة : 58
الاستشهاد بالقرآن الكريم:..... 60
الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. 63
الشواهد الشعرية:..... 64
2 . الاستفهام: 67
4 . التكرار:..... 68
5 . حجاج القسم : 71
6 . حجاج الواقع : 72
الخـاتـمـة. 76
الملاحق..... 78
فهرس الموضوعات 88
الملخص 92

الملخص

أصبح موضوع الحجاج حديث العصر، حيث أُلّفت فيه العديد من الكتب والمقالات، وتعتبر المناظرة حقلاً خصبا لتوافر الحجاج، ومجالا واسعاً للدراسة التطبيقية فيه، حيث تبرز فيها ملامح حجاجية عديدة؛ باعتبارها جنس أدبي يحوي معالم بلاغية؛ بيانية كانت أو بديعية.

إذ البلاغة فيها لا تقتصر في شقّها الجمالي الفنّي، وإنّما تحمل جانبا أبعد من ذلك الظاهر الجلي، فهي تنطوي على أبعاد حجاجية مشحونة في ذلك الجانب الجمالي، هدفها التأثير في متلقي الخطاب من خلال استمالته في محاولة لإقناعه بالموضوع المطروح.

على أن يعتمد المتكلم للوصول إلى هدفه(الإقناع) على مجموعة من التقنيات الحجاجية التي بها يقوّي حججه المؤدية إلى النتيجة المقصودة.

ومثال ذلك اعتماد الصور البيانية (الاستعارة، التشبيه، الكناية...) أو المحسنات البديعية(الطباق، المقابلة، السجع...)، إضافة إلى نماذج أخرى كالقسم و الشواهد (القرآنية الحديث، الأشعار) والاستفهام... ، كتقنيات حجاجية يُنظر إليها من الجانب الحجاجي الذي تؤديه بغرض الإقناع.

لتصبح البلاغة بذلك تعمل على الصعيدين: الجمالي و الحجاجي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، البلاغة، المناظرة، تقنيات، الإقناع.